DECLARATION

I hereby declare that this work is the product of my research efforts undertaken under the supervision of Dr. Hussaini Muhammad Lawan and has not been presented anywhere for the award of a degree or certificate. All sources have been dully acknowledged

SUNUSI ADAM MUHD.
SPS/13/MAR/00037

CERTIFICATION

This is to certify that the research work for this thesis and the subsequent write-up by Sunusi Adam Muhammad (SPS/13/MAR/00037) were carried out under my supervision.

_____

Dr. Hussain Muhd. Lawan
(Supervisor)

APPROVAL

This thesis titled "*Assuwarul Bayaniyya Fii Diwani Ifadatit-Dalibin Li'amiril Muminin Muhammad Bello Dirasa Tadbiqiyya"* has been examined and approved for the award of Masters in (Arabic).

_____

External Examiner Date:_____

_____

Internal Examiner Date:_____

_____

Supervisor Date:_____

_____

H.O.D Arabic Department Date:_____

_____

FAIS Coordinator Post Graduate Date:_____

الإهداء

أهدي ثواب هذا الجهد العلمي إلى روح والدي الكريمين الذين أنفقا كل غال ونفيس في سبيل تربيتي وحصولي على هذه الدرجة العلمية، والله أسأل أن يوفقهما ويحقق أمنياتهما إنه ولي التوفيق، رب اغفرلي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا.

سنوسي آدم مُحَمَّد
SPS/13/MAR/00037

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلوات ربي وسلامه على سيد الأولين والآخرين، وخير من نطق بالضاد، وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أتاح الله للباحث الفرصة لإعداد هذا البحث في ديوان إفادة الطالبين، تناول فيه بعض قصائد أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو، كما سخر الله رجالا مدّوا له يد العون والمساعدة، إلى أن قدر لهذا البحث أن يرى النور، ويكتفي الباحث بذكر النماذج من أسمائهم، ولا يعنى ذلك نسيانا وتغافلا عن البعض، إنما يعنى الإخضاع تحت قاعدة مالا يدرك كله فلا يترك جلّه.

وكان دينًا على الباحث أن يقدم شكره وتقديره إلى المشرف على الرسالة الدكتور حسين مُحَمَّد لون، فإنه- أطال الله بقاءه في خدمة العلم والدين- الذي أنار له الطريق، وذلك إنه ذلل له الصعوبات، وواصل ليله بنهاره في تصحيح أخطائه الفاشية، وصبر على ضعفه وعجزه، على الرغم من أشغاله الأكاديمية والاجتماعية، والله أسأل أن يسدد خطاه ويوفقه إلى الخير والصواب، إنه على ذلك قدير.

ويبذل الباحث شكرا جزيلا إلى جميع هيئة التدريس بقسم اللغة العربية، وأخص بالذكر منهم الدكتور أحمد مُحَمَّد ثالث الذي كان يعامل الباحث معاملة الأب بابنه الحنون، والدكتور المتبولي شيخ كبر الممتحن الداخلي، والأستاذ الدكتور ثاني خامس درما، و غيرهم كثير.

ويظل هذا الباب أبتر إذا لم يعترف الباحث بالشكر والتقدير إلى مُحَمَّد أول شاوش–رئيس كلية اللغات سابقا– بكلية أمين كنو دراسة الشريعة والقانون– الذي بذل كل ما في وسعه حتى خرج هذا العمل، ولا يملك الباحث كلمة تعبر عن تقديره وشكره له، إلا أن يدعو الله له بالخير.

وكذلك يعترف الباحث بشكره وتقديره لجميع الزملاء والإخوان الذين وقفوا بجانبه أثناء البحث، وقدموا إسهاماتهم حتى أخرج الله هذا العمل على هذا الشكل، ويخص بالذكر الأخ عمر كبير، والأخ مُحَمَّد الأمين غطاطو، والأخ مهدي حبيب، والأخ الزميل شمس لون، والأخ الزميل أبوبكر سابع أبوبكر وغيرهم كثير، جزاهم الله خير الجزاء.

ABSTRACT

This research is titled "Rhetorical illustrative form in the Diwan "*Ifadah at-Talibeen* (Seekers' Utilization) written by Sultan Muhammad Bello. An applicable study. The research treats one of the rhetorical branches known as the rhetorical illustrative study. It also aims to study the aforementioned *Diwan* in order to remove the veil which covers the rhetorical forms that brought within it.

The researcher therefore, proceeds in this study through descriptive and historical order respectively. In view of the above, researcher wrote an introduction in chapter one whish is considered tantamount to inseparable elements of the research. In chapter two he wrote a short history of life of the *Diwan's* author, as he also spoke briefly on the *Diwan* itself. Then he moved to chapter three where he brought a theoretical study on rhetorical likening and assimilation, after which he had mentioned the forms of the rhetorical likening as they were brought in the *Diwan* analytically and rhetorically. In chapter four, five and six, he had treated differently types of rhetorical studies, including metaphor, indirect expression and figurative expression.

Here the researcher summarizes to mention some result from which the research has reached as follows:

- Indeed, the sultan Muhammad Bello was not merely a mystic and political but he was also an adroit man of letter, as we have seen in his literary productions, especially in some poems that brought in the *Diwan*.
- Most surely, the deferent circumstances surrounded the poet era such as political issues knowledge and literature had reflected in his literary works as we have seen in some models of anthology.
- Verily, that aspect of likening among other rhetorical aspect ahs got lion's share in the *Diwan*, followed by the aspect of metaphor, then the aspect of figurative expression and lastly the aspect of indirect expression.
- The poet in person of Sultan Muhammad Bello was in conformity with ancient Arabic poet, as he had immensely imitated then at the different levels Jahilists, Islamist, as well as he imitated his contemporaries through compliance with poetry upright post.
- Finally, I ask Allah the most high to accept this modest work of mine, and he may make its ending to be musk, as indeed Allah the Almighty is the sponsor of success, aamen.

فهرس

الموضوع	الصحفة
صفحة الغلاف	
Declaration	أ
Certification	ب
Approval Page	ج
الإهداء	د
الشكر والتقدير	هـ
Abstract	ز
الفهرس	ح
الفصل الأول	١
– عنوان البحث	١
– دوافع البحث	١
– أهمية البحث	٢
– أهداف البحث	٢
– إشكالية البحث	٣
– الدراسات السابقة	٤
– حدود البحث	١١
– منهج البحث	١١
الفصل الثاني: التكوين الشخصي للشاعر	١٢
المبحث الأول: نسبه ومولده ونشأته	١٢
– حياة الشاعر العلمية	١٨

- إسهاماته في بناء الدولة السكوتية	٢٤
- العوامل التي كونته شاعرا	٢٧
- المؤلفات التي خلفها	٣٣
المبحث الثاني: التعريف بالديون	٣٨
- مفهوم كلمة الديوان	٣٨
- التعريف بالديوان المدروس	٣٩
- بعض خصائص الديوان	٤١
الفصل الثالث: التشبيه وصوره في الديوان.	٤٣
المبحث الأول: تعريف التشبيه وبلاغته	٤٣
- الفرق بين التشبيه والتمثيل	٤٥
- أركان التشبيه	٤٧
- أقسام التشبيه	٤٨
- أغراض التشبيه	٥١
- بلاغة التشبيه	٥٥
المبحث الثاني: صور التشبيه في الديوان	٦١
- التشبيه المفرد والمتعدد	
- من صور التشبيه التمثيل في الديوان	٧٨
الفصل الرابع: الاستعارة	٨٣
المبحث الأول:	٨٣
- الاستعارة لغة واصطلاحا	٨٣
- أقسام الاستعارة	٨٥
- خطر الاستعارة البياني	٩١

المبحث الثاني:	٩٤
صور الاستعارة في الديوان	٩٤
– الاستعارة التصريحية	٩٤
– الاستعارة المكنية	١٠٦
الفصل الخامس: المجاز	١١٧
المبحث الأول: المجاز المرسل وسره البياني	١١٧
– المجاز لغة واصطلاحا	١١٧
– علاقات المجاز المرسل	
– السر البياني للمجاز المرسل	١٢٣
المبحث الثاني: من صور المجاز المرسل في الديوان	١٢٥
الفصل السادس: الكناية وصورها في الديوان	١٣٤
– المبحث الأول: الكناية وخطرها البياني	١٣٤
– مفهوم الكناية لغة واصطلاحا	١٣٤
– أركان الكناية	١٣٧
– أقسام الكناية	١٣٧
– خطر الكناية البياني	١٤٢
المبحث الثاني: صور الكناية في الديوان	١٤٦
الخاتمة	١٥٧
نتائج البحث	١٥٦
قائمة المصادر والمراجع	١٦٠
فهرس	١٦٥

الفصل الأول

المقدمة

الحمد لله، وبه نستعين، والصلاة والسلام على خير الخلق، ومعلم البشرية، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين.

وبعد:

فهذا الفصل عبارة عن المقدمة التي تشكل أساسيات البحث، ويحتوي على العناصر الآتية:

عنوان البحث:

يتمثل عنوان البحث في "صور بيانية في ديوان إفادة الطالبين لأمير المؤمنين مُحَمَّد بلو".

دوافع البحث:

وقد دفع الباحث إلى اختيار هذا الموضوع أمور منها:

- إشباع رغبته الذاتية في خدمة التراث العربي الذي خلفه العلماء في هذه الناحية وخاصة علماء الجهاد الذين عاشوا في القرن التاسع عشر الميلادي.
- طموحه إلى الإلمام بما احتوت عليه مخلفات علماء القرن التاسع عشر من الظواهر البلاغية والصور البيانية بشكل خاص.

- المكانة المرموقة التي يحتلها الأفارقة – وبالأخص في بلاد هوسا- في ميدان القريض العربي.
- اهتمام الباحث بما تتمتع به قريحة علماء القرن التاسع عشر وخاصة علماء الجهاد الفودوي من الجانب الأدبي وما فيه من الظواهر الفنية، وخاصة الصور البيانية منها.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية هذا البحث في تناول ديوان إفادة الطالبين بوصفه تراثاً إسلامياً عربيًا خلفه أحد مشاهير علماء الجهاد في القرن التاسع عشر باستخراج الصور البيانية الكامنة فيه، وتحليلها تحليلا بيانيا يؤدي إلى فهم مضامينه فهما دقيقا وإبراز قيمه الفنية.

إن هذه الدراسة تساعد على الحكم على مكانة صاحب الديوان من خلال التناول البياني لآثاره الشعرية.

لعل الباحث بذلك يضيف شيئا إلى المكتبة العربية النيجيرية مما خلفه بعض علماء بلاد هوسا الذي لازال شعرهم صالحًا لدراسات أخرى في ميادين فنية أخرى.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- دراسة الصور البيانية وتحليلها في ديوان إفادة الطالبين لأمير المؤمنين مُحَمَّدبلو تحليلا يبرز قيمته الفنية مما يعين الدارس على إدراك مضامينه.

- الاستهام في تيسير فهم تراث الأدب النيجيري الذي خلفه واحد من أبناء القرن التاسع عشر، بغية إماطة اللثام عن أهم الصور البيانية التي تحلى بها هذا التراث.
- محاولة إلقاء الضوء على الأدب العربي النيجيري بصفة عامة، وخاصة في القرن التاسع عشر الميلادي.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية هذا البحث في تساؤلات سيجيب عنها البحث منها:

- ما القيم الفنية الكامنة في ديوان إفادة الطالبين وما طبيعتها وخصائصها؟
- ما مدى استخدام الصور البيانية ومستوى جودتها في هذا الإنتاج؟

هذا من حيث الكيف، وأما من حيث الكم، أيوجد مثل هذه الصور البيانية في هذا الديوان على الندرة أو على الوفرة التي تؤهل الباحث بأن يقوم بهذه الدراسة في هذا المستوى – مستوى الماجستير–.

الدراسات السابقة:

لم تكن إنتاجات أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو من الإنتاجات المدفونة تحت التراب، بل تناول أشعاره باحثون كثيرون بالدراسة والتعليق، وقد وفق الباحث بالوقوف على مثل هذه الدراسات منها:

- مُحَمَّد بلو أبوبكر قَوْرَنْنَمُودَا، كتب بحثه بعنوان: عرض تآليف أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، وقدم البحث إلى قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو لنيل شهادة الليسانس سنة ١٩٧٨م.

وهذه عبارة عن مشروع بحث قُدِّم في فصلين وخاتمة، أما المقدمة فحديث موجز عن حياة أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو العلمية والسياسية والدينية، وفي الفصل الأول، تحدث الباحث عن مؤلفاته في اللغة العربية، والدراسات الإسلامية، والفصل الثاني، عرض لديوان شعره المسمى بـ (إفادة الطالبين) والخاتمة عبارة عن معالجة الشاعر لتلك الموضوعات وما امتازت به أشعاره من القيم الفنية والنكت الأدبية.

وتتفق الدراسة السابقة مع الدراسة الراهنة في كون الدراستين تناولتا إنتاج شاعر واحد، ويختلفان من حيث الموضوع، حيث كانت السابقة دراسة أدبية والحالية دراسة بلاغية.

- أبوبكر مُحَمَّد بلو، كتب مشروع بحثه بعنوان: شرح وتحقيق كتاب نظم العوامل لأمير المؤمنين بلو، جامعة بايرو، قسم اللغة العربية، للحصول على شهادة الليسانس سنة ١٩٨٥م وتناول الباحث حياة السلطان مُحَمَّد بلو ثم التعريف بالكتاب وبيان مصدره ومنهج مؤلفه والغرض من نظمه، ثم حقق الكتاب وشرحه وعلق عليه.

- مُحَمَّد الثاني خامس درما: بعنوان: "إفادة الطالبين لأمير المؤمنين مُحَمَّد بلو، مسح عام وتقويم"، وهي رسالة الماجستير قدمها إلى قسم اللغة العربية،

كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو، كنو، سنة ٢٠٠٦م، وهي عبارة عن مقدمة وخاتمة وأربعة أبواب بينهما. وأما الباب الأول فعبارة عن نبذة تاريخية موجزة عن شخصية أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو، والباب الثاني؛ مسح عام لمعظم القصائد الموجودة في ديوان "إفادة الطالبين" وترتيبها حسب الترتيب الهجائي منسبا القصائد إلى قوافيها، و ذاكراً عدد أنواعها على سبيل الإجمال في أول الفصل، ثم أتى بعد ذلك بالتفاصيل حسب القوافي المذكورة، مع شرح بعض الكلمات الغريبة في الهوامش.

وأما الباب الثالث فيحتوى على عرض موجز لمحتويات الديوان، تحدث فيه عن السمات العامة لقصائد الديوان، ثم قوم تلك القصائد تقويما فنيا، ثم جمعها فقسمها إلى قسمين رئيسيين.

١- القصائد ذات السمات الدينية والشعور الديني.
٢- القصائد التي تمت إلى الشعر الجاهلي بصلة من روحه، ولكنها متميزة بالمعاني الإسلامية السامية.

وحيثما قومها كان يضع النقاط التالية أمامه:

١- الظروف والمناسبات التي قيلت فيها كل قصيدة.
٢- اعتبار الأمير مُحَمَّد بلو جزءا لايتجزأ من المجتمع الذي عاش فيه.
٣- وضع الظروف المتعلقة بذلك المجتمع في تلك الفترة في موضع الاعتبار
٤- الصدق في العمل الأدبي.

والباب الرابع الأخير فعبارة عن ملاحظات عامة عن الديوان، وقد تحدث فيه عن سعة باع الأمير مُحَمَّد بلو في الثقافة العربية الإسلامية وكثرة اطلاعه إلى دواوين الشعراء الأوائل من العرب وغيرهم.

وتتفق الدراسة السابقة والراهنة في كون الدراستان تناولتا ديوانا واحدا، وتتفرقان من الناحية المدروسة، تلك دراسة أدبية وهذه بلاغية.

- موسى إبراهيم تَنَاهُو: كتب مشروع بحثه بعنوان: صور من الاقتباس عند أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو، لينل الإجازة العالية في اللغة العربية، قدمه إلى قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي سكوتو، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، وقد قسم الباحث عمله إلى ثلاث نقاط: النقطة الأولى عبارة عن مفهوم الاقتباس عند اللغويين، وموجز حياة الشيخ أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو، بوصفه تمهيدا، ثم الاقتباس عند أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو وأغراضه، ثم أخيرا تكلم عن المآخذ التي لاحظ فيها من الأخطاء اللغوية والتركيبية والعروضية والخاتمة.

وهذا البحث وإن كان يمتّ إلى البلاغة العربية بصلة إلا أنه تناول المحسنات البديعية، وهذا تناول فن علم البيان.

- سراج مُحَمَّد سكوتو، كتب بحثه بعنوان: الموازنة بين الشاعرين: أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو والوزير جنيد، رسالة قدمها إلى كلية الدراسات العليا، جامعة عثمان بن فودي سكوتو سنة ٢٠٠٤م، لينل شهادة الدكتوراه، والبحث عبارة عن ستة أبواب، الباب الأول، عبارة عن المقدمة (عناصر

البحث) والباب الثاني: نبذة عن حياة الشاعرين: أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو والوزير جنيد، والباب الثالث: الدراسة الأدبية النقدية عند العرب، والباب الرابع عبارة عن الشكل والمضمون عند الشاعرين، والخامس عبارة عن الخيال والمشاعر، والسادس: الأوزان والقوافي لدى الشاعرين، ثم أخيرا الخاتمة.

والفرق بينهما أن الدراسة الأولى نقدية، والثانية بيانية.

- أبوبكر إبراهيم، كتب بحثه بعنوان: الموازنة بين بعض مدائح عبدالله بن فودي، ومُحَمَّد بلو، لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، قدمه إلى قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي سكوتو سنة ٢٠٠٥م=١٤٢٧هـ. وهو عبارة عن ثلاثة فصول: الفصل الأول: عبارة عن دراسة تاريخية عن الشاعرين. والثاني: عبارة عن دراسة مختصرة عن بعض مدائح الشيخ عبدالله بن فودي، ومُحَمَّد بلو، والثالث عبارة عن الموازنة بين هذه المدائح، ثم أخيرا الخاتمة.

والفرق بين هذين البحثين السابقين والبحث الحاضر أنهما –السابقين– يختصان بالدراسة النقدية والبحث الحاضر عبارة عن دراسة بلاغية.

- والفرق بين الدراسة الحاضرة والسابقة أن الأول (السابقة) لم تكن من ضمن قصائد الديوان الذي يدرسه الباحث وعلى الرُّغم من ذلك فإن الدراسة الأولى دراسة نقدية، والثانية (الحاضرة) دراسة بلاغية فهما إذا مختلفان من الناحيتين.

- عمر عثمان عَوْرَا، كتب بحثه بعنوان: التشبيه عند أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو، لينل شهادة الليسانس في اللغة العربية، قدمه إلى قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي سكوتو سنة ١٩٨٦/١٩٨٧م حيث استخدم الديوان ودرسه دراسة بلاغية، وهو عبارة عن خمسة فصول بعد المقدمة والتمهيد ثم الخاتمة، وقد عالج في التمهيد معنى التشبيه في اللغة واصطلاحا، وآراء علماء البلاغة حول التشبيه، ومنزلة التشبيه. أما الفصل الأول: فعبارة عن التشبيه الحسي عند أمير المؤمنين، والثاني: عبارة عن التشبيه المعنوي عنده، والثالث: فعبارة عن صور التشبيه المتعدد عنده، والرابع: عبارة عن صور التشبيه التمثيلي في أشعار مُحَمَّد بلو التي في الديوان، والخامس: عبارة عن بلاغة التشبيه عند أمير المؤمنين، ثم الخاتمة التي حوت على التقيم الفني لقصائد الديوان.

والفرق بين البحث الحاضر والسابق أن بينهما عموم وخصوص مطلق، بمعنى أن البحث الحاضر يشمل السابق من حيث إنه يتناول التشبيه وغيره من أبواب البيان، في حين أن السابق اقتصر على التشبيه من بين أبواب البيان، وسوف يستفيد الباحث من بهذا البحث، ويحاول قدر الإمكان أن يختار صورا غير التي في البحث السابق، أو يزيد شيئا على بعض التشبيهات التي عالجها الباحث.

حدود البحث:

تنحصر هذه الدراسة في تتبع الصور البيانية الكامنة في ديوان إفادة الطالبين لأمير المؤمنين مُحَمَّد بلو، فالديوان مشتمل على مختارات من أشعار أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو، وفيه اثنان وأربعون قصيدة، وسبع قطع وثلاث نتف.

وجملة أبياته خمسة وثلاثون بعد ثمان مائة، في مختلف الأغراض، من مدح، ومديح، والوعظ والإرشاد، والتوسل، والرثاء، والجهاد، والفخر والهجاء، والغزل، والمناسبات.

والباحث سيتتبع هذه القصائد والمقطوعات ليقف على مافيها من التشبيهات والاستعارات والكنايات التي تبلغ عدد تشبيهاتها خمسا وأربعين تشبيها، في حين أن الاستعارة تبلغ اثنين وثلاثين صورة، مع تذييل بعشر كنايات.

يقوم الباحث بتتبع هذه الصور ويختار نماذج منها، لتحليلها تحليلا بيانيا.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي التطبيقي في شرح وتحليل الظواهر البيانية في هذا الديوان، وإبراز الجماليات الفنية الكامنة في الديوان مع الاستعانة بالجانب النظري، والشواهد تذكر في متن البحث ولا يأرخ الباحث بالشخصيات التى ترد في البحث.

الفصل الثاني

التكوين الشخصي للشاعر

المبحث الأول: نسبه ومولده ونشأته:

هو الشيخ مُحَمَّد بلو[١] بن الشيخ عثمان بن مُحَمَّد فودي بن عثمان بن صالح بن هارون بن مُحَمَّد غُورِطَ بن رحب بن مُحَمَّد سَمْبُو بن أيوب بن ماسران بن أيوب بن باب بن موسى جَكُولُّو.[٢]

ولد أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو يوم الأربعاء في طغل [٣](Degel) في شهر ذي القعدة سنة مائة وخمس وتسعين بعد ألف هجرية، ١١٩٥هـ الموافق لسنة سبع مائة وتسعة وسبعين بعد ألف ميلادية(١٧٧٩م)، وهو الرابع من أولاد والده الذكور.

وتنسب أسرته إلى قبيلة من القبائل الفُلاَّتِيَّة، المسماة بـ توروب (Torobbe) وقد هاجرت هذه القبيلة من فُوتَاتُورُو واستمرت في تنقلاتها إلى أن وصلت غُوبِرْ إحدى ولايات هوسا واستقرت بها.[٤]

اختلف علماء الأجناس في أصل الفلاتيين اختلافا كثيرا، ومنها ما بني على السماع التقليدي[١]، منها: أن القبيلة الفلاتية فارسية الأصل

---

[١]- فبلو بفتح الباء وتشديد اللام المضمومة، وبعدها واو ساكنة لمد الإشباع، إسم فلاني يفيد معنى الناصر، وربما تحذف منه الواو كتابة كما تحذف في جكولو وثمبو فتكتب الأسماء هكذا "بل" و"جكل" وثمب" وكذلك في كتابة الأسماء العجمية التي تنتهي بحركة قبل مد الإشباع مثل بَاغَرْمِي وغُمِي وغَرْمَا وزُومَا وكِنْدَاطَا فإن القدماء كانوا يكتبونها بدون إلحاق حرف المد فيكتبونها هكذا بَاغَرْمِ، وَغُمِ، وَزُومَ، وَكِنْدَاطَ، دلالة على أن المد فيها معلوم أو قليل جدا فاقتصروا على أصول الكلمات مثل كتابة القوافي المحركة رويها كمنزل وترب، والعجب أنهم لم يحذفوها في كَنُو وَبَرْنُو.
فالأحسن الآن إلحاق حرف المد المجانس للحركة كتابة لتميز الحركة عن غيرها لمن لا يعرف كيفية النطق بتلك الكلمات العجمية. راجع الإمام محمد بلو بن عثمان بن فودي **الانفاق الميسور**، بدون معلومات النشر، ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م ص: ٧.

[٢]- الشيخ عبدالله بن فودي، إيداع النسوخ ممن أخذت من الشيوخ، مخطوط ، ص: (١)

[٣]- طغل قرية تحت محافظة وامكو (Wamako) وهي مأوى الشيخ عثمان وجماعته قبل قيام الجهاد.

[٤]- الشيخ عبدالله بن فودي، المرجع السابق والصفحة، وانظر أيضا الدكتور، شيخو أحمد سعيد غلادنثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية، ط٢، هـ ١٩٩٣م، ص: ٥١

نزحت من آسيا، ومنها: أنهم من اليهود، أو أنهم من أصل مصري للشبه الكبير الذي بينهم وبين صور المصريين القدماء المنقوشة على القبور من عهد الهكسوس. وتقول بعض الروايات إنهم من أصل مَلاَّوِي وذلك لوجود التشابه في بعض الأسماء الواردة في اللغتين الملاوية والفلاتية.[٢]

وتشير بعض الروايات إلى أنها من الروم والعرب، وهو (القول الأخير) المنقول عن آل فودي أنفسهم، حيث كانوا يقولون إن الجد الأعلى للفلاتيين عربي هو عقبة بن عامر الصحابي الجليل الذي جاء بجيوش الإسلام إلى نصارى الروم فتزوج بابنة أحد ملوك الروم بعد إسلامه وكانت تدعى (بَجِّ مَغَّ) فأنجبت له أربعة أولاد صاروا فيما بعد أجداد القبيلة الفلاتية. يقول الشيخ عبدالله بن فودي في ذلك: "وأصلهم فيما نسمع من نصارى الروم وصلت إليهم جيوش الصحابة، فآمن ملكهم، وتزوج بنته عقبة بن عامر الصحابي أمير المؤمنين فولد قبيلة فلان المشهورة، وجدهم الرومي أبوه عيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، وأمه نسمة بنت إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام والله أعلم".[٣]

هذا، وقد ذكر أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو أن قبائل الفُلاَ[٤] افترقوا إلى ثلاث فرق لبعض الوقائع التي حدثت هناك في القرن الثالث عشر

---

[١]- يقول الدكتور علي أبوبكر، والحق إن أصل شعب الفلاني المنتشر في غرب أفريقيا كله من موريتانيا غربا إلى الكاميرون وتشاد شرقا، لغز من ألغاز التاريخ لم يحل بعد، **الثقافة العربية في نيجيريا**، دار الأمة، ط٢، ٢٠١٥.

[٢]- الدكتور علي أبوبكر، المرجع نفسه والصحفة.

[٣]- الشيخ عبدالله بن فودي: المرجع السابق والصفحة، فعليه يمكن الجمع بين قول من قال إن أصل الفلاتيين من الروم، ومن قال من العرب، بأنه من قال من الروم نظر إلى جانب الأمومة، ومن قال من العرب نظر إلى جانب الأبوة.

[٤]- أما لفظ "الفلان" فاسم منحرف لم يكن هو المتعارف عليه في لغة القوم من قبل، والفلاتيون يسمون أنفسهم "الْفُلْب" أو "بولاَر" "الفُلاَ" أو "الفُلاَتَة" والنسبة تكون الفُلْبِى والبُولاري، والفُلاتِي، فالذين حرفوا الإسم هم أهل هوسا إلى الفلان، فسارت النسبة الفلاني، فاضطرب بعض الكتاب والباحثين فمرة يكتبون في النسبة الفلاتي نظرا ورجوعا إلى ماهو المعهود في لغة القوم، ومرة يكتبون "الفلاني" جريا وراء الإسم المنحرف الذي سارهوا المتعارف عليه اليوم، فالأحسن الآن الرجوع إلى الأصل، وليست هذه القبيلة هي الوحيدة التي سماهم أهل هوسا باسم لم يختاروه لأنفسهم، فقد سموا "إبُو" (IGBO) بـإِنْيَامِرِ

الميلادي، فدخلت فرقة في بلاد فوتاتور، وفرقة أخرى في فُوتَاجَالُونْ، وسكنوا هناك، وفرقة عزموا على أن يسيروا إلى الشرق ليدخلوا مع قبائل آبائهم العرب، فمضوا إلى بلاد العرب واندمجوا...

وقد أوجز الدكتور مُحَمَّد صالح حسين الكلام عن هجرة الفلانين إلى الشرق في أربعة أقسام وهي:

١- كانت هجرتهم من السنغال شرقا إلى تُمْبُكْتُو وما جاورها من المدن بقيادة جدهم "جلاد".

٢- هجرتهم من تنبكتو إلى مَاسنى وفُوتَاتُورُو بقيادة جدهم "جَرْتَاو".

٣- هجرتهم من فُوتَاتُورُو إلى بلاد هوسا، بقيادة جدهم موسى جَكُولُو، وذلك في أواخر القرن الثامن الهجري لما وقعت ثورة عظيمة بتلك البلاد فخرج بجماعة قاصدا الحجاز، فلما وصلوا إلى بلاد هوسا استوطنوها.

٤- تلك الهجرة التي قادها الشيخ المجدد عثمان بن فودي داخل بلاد هوسا ناشرا الإسلام، مؤسسا الإمبراطورية الإسلامية، إلى أن وصل بعض من أتباعه وأحفاده أرض السودان الشرقي عند النيل.[١]

وعلى كل، فإن القبيلة الفولانية كانت من أوائل القبائل الإفريقية التي اعتنقت الإسلام منذ وقت مبكر، وكانوا مثقفين بثقافته وناطقين بلغته حتى ظهر من بينهم دعاة وعلماء، وفقهاء، وأصبحوا في القرنين: الثامن

"Inyamiri" على الرغم من أن الإسم مشتق من "أُغْتَامِر" "UGTAMIRI" الذي يعني في لغتهم مورد الماء، فحرف أهل هوسا هذا الإسم فسموا به القبيلة ذاتها، فسار هو المعروف بين كثير من الناس". مقابلة مع الفروفيسور محمد الطاهر داود، في مكتبه بجامعة بايرو كنو، يوم الأربعاء 18/11/2016 عند الساعة الحادية عشر صباحا.

[١]- الشيخ عبدالله بن فودي، الحصن الرصين، تحقيق محمد بن صالح حسين، دار الأمة ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ص: ٢١-٢٢.

عشر، والتاسع عشر الميلاديين حملة الإسلام إلى من لم يعتنقه من جماعات غرب إفريقيا، وقاموا بالإصلاح الديني في الجماعات التي خلطت إسلامها بشيء من ممارسات الجاهلية الأولى.[1]

وقد وصفهم فرنسيس مُوَارِ(Francic Moore) بقوله: إنهم كانوا ينتشرون على نهر الجَمْبِيَا، وأنهم يشابهون العرب، ومعظمهم يتكلمون باللغة العربية، لأنهم كانوا يتعلمونها في مدارسهم، ولغتهم مهذبة تسمى "فولي" وكان لهم رؤساء يحكمونهم حكما معتدلا، وهم يشتهرون بالكرم".[2]

وكانت أسرة مُحَمَّد بلو من أشهر أسر القبيلة، إذ كان لها عناية فائقة بالعلم والتعليم، ولا أدل على ذلك من أن جده مُحَمَّد كان عالما كبيرا يدلنا على ذلك لقبه "فودي" ومعناه الفقيه باللغة (الفلاَّتية)،[3] ولايخفي ما لأبيه الشيخ المجدد عثمان بن فودي وعمه الشيخ عبدالله بن فودي من الرسوخ في العلم، أضف إلى ذلك أعمامه وأخواله وإخوانه الذين كانوا من العلماء المشهورين.

ومن هنا يلاحظ أن أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو نشأ في بيئة علم وصلاح، ودعوة وجهاد، الأمر الذي أدى إلى إيقاظ اهتمامه بالعلم والتربية، فلازم والده الشيخ عثمان بن فودي يتصفح أحواله ويستمع إلى أقواله، فتأثر به في أموره حتى إنه تأهل من بين إخوته، ليكون الخليفة الأول بعد والده، مع أنه لم يكن أكبرهم سنا، ولكنه كان أفضلهم في أمور الدين والدولة، وقد

---

[1]- الدكتور شيخو أحمد غلادنثي. حركة اللغة العربية، ص: ٣٨.

[2]- الدكتور أحمد سعيد غلادنثي، المرجع السابق، ص: ٤٥.

[3]- الشيخ عبدالله بن فودى، لمع البرق، تحقيق الدكتور يحيى فاروق ثيط، دار الأمة ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١١م، ص: ٣٣، بتصرف.

تحدث مُحَمَّد بلو عن نشأته بنفسه، حيث قال: "كنت منذ نشأت وقرأت القرآن، وتعلمت العلم، لازمت الشيخ أتصفح أحواله، وأستمع إلى مقاله، وأنا غلام حدث، حتى حصل لى من بركة الشيخ ما سار به الركبان وحدث به السمار في العمران..."[1].

وقد ظهرت عليه علامات الذكاء والفطنة والإدراك، وبعض الإرهاصات في حالة صباه، وفي ذلك يقول المرحوم الوزير جنيد: "نشأ ﷺ وأرضاه على سيرة حسنة وحالة حميدة، وإرهاصات تدل على مزيد عناية وتؤذن بمتسقبل خير وإظلال سعادة، من ذلك أنه كان عند جدته لأمه حسنة بموضع يسمى بَرَايَزّاكي صبيا، فلا يعلب مع الصبيان ويظل تحت الشجرة وحده، وفي بعض الأيام خرج يريد والديه فضلّ الطريق وسار حتى وصل بموضع يسمى شَرَا شرًا فالتقطته نساء الرعاة وأوصلنه إلى عمته مونم، وسارت إلى جدته، وفي هذا لوقت قال لهم: ردوا ابن قوم آخرين إليهم، فأرسلت جدته إلى الشيخ تخبره بحاله فأرسل الشيخ وُوَد وسار حتى وصل بَرَايزَّاكِي وضمنوه مع وود وهو ابن عشر سنين، فحين سلك الطريق قال لوود: هل تعلم أنا سنقيم الجهاد في هذه البلاد؟ فأخبره بأمور الجهاد فقال وُود: إن شاء الله إن بلغني الله هذا الوقت أجاهد معكم، فقال لوود: لا تسير معنا إلى الجهاد فإنك تقيم مع الشيخ، فصار الأمر كما قال...".[2]

ولما بلغ مُحَمَّد بلو سن الرشد آزر والده، وساعده في الأمور العامة والخاصة، مثل الكتابة، والوعظ والتدريس، وأبلى بلاءً حسنًا في الجهاد،

[1]- الشيخ أمير المؤمنين محمد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق. ص: ١١٢.
[2]- الدكتور شيخ عثمان كبر، الشعر الصوفي في نيجيريا، النهار للطبع والنشر والتوزيع، بدون تاريخ النشر، ص:٢٠٠٠م.

وكان من أعلى وزراء والده رتبة، ومن مستشاريه الخاصين، وقد ساعده على ذلك أخلاقه الحميدة، وسيرته الحسنة، يقول مُحَمَّد بلو ذاته في ذلك: و"صحبت الشيخ ووازرته وقمت بأموره، وجاهدت العدو، وأنجعت وأنفقت بقدر الطاقة..."[1].

[1]- إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص: ٢١٢.

حياة الشاعر العلمية:

نشأ مُحَمَّد بلو في فترة برز فيها عدد كبير من النابغين في العلم، والذين كان لهم صيت وباع طويل في شتى فنون العلوم الإسلامية والعربية، منهم على سبيل المثال:

الشيخ مُحَمَّد البكري البرناوي الذي كان أول من قام بالإصلاح الديني بهذه البلاد، وقال عنه الشيخ مُحَمَّد بلو: "من علماء هذا البلد الإمام العالم، العلامة المتفنن الفهامة، شيخ الشيوخ ذو الفهم والرسوخ، الشيخ البكري..."[1] والعلامة البَاكُورم، المعروف بابن الآجروم، والشيخ الطاهر بن إبراهيم الفلاني قال عنه الشيخ مُحَمَّد بلو: كان نسيج وحده عالما بالمنقول والمعقول، صالحا تقيا بارعا والحاصل أنه بلغ مبلغ الرجال".[2]

ومنهم الشيخ جبريل بن عمر الذي تخرج على يده خَلْقٌ كثير من الفطاحلة والجهابذة، منهم: الشيخ عثمان بن فودي المجدد، وأخوه عبدالله بن فودي، ومصطفي بن الحاج، ومُحَمَّد فريدي، قال الشيخ عثمان بن فودي،[3] في أستاذه الشيخ جبريل:

إن قيل فِيَّ بحسن الظن ما قيلا* فموجة أنا من أمواج جبريلا

وقال عنه الشيخ عبدالله بن فودي:

شيخ الشيوخ فريد دهر ظاهر * فوق المبارز بالعلوم متوج

---

[1]- إنفاق الميسور، المصدر السابق ص: ٣٧.
[2]- المصدر نفسه والصفحة.
[3]-

جبريل من جبر الإله به لنا * دينا حنيفا مستقيم المنهج[1]

ومنهم الشيخ الإمام مُحَمَّد سَمْبُو بن عبدالله، وهو من أشهر علماء القرن الثامن عشر قال عنه الشيخ عبدالله: "إنه حين خرج الشيخ جبريل إلى الحج لم يترك فينا أفضل منه في العلم والصلاح".[2]

وغير هؤلاء كثير، فهذه دلالة واضحة على أن هذا العصر حافل بالعلم والعلماء ذو مراكز علمية، ومجالس فقهية يؤمها الطلاب من شتى النواحي، ويؤكد ذلك الشيخ عبدالله في قصيدته الجيمية المشهورة حيث يقول.

ومدارس أضنى بحب شهودها * فيها نجاح حوائج المتحوج
وجحاجح علما يجلب رفدهم* كل كبحر في العطا متموج[3]

وطبعي أن يتأثر الصبي بتلك المدارس التي أصبحت ميادين التدريب، ويتفاعل بكل إحساسه، ويتمرس بالحركات العلمية والإصلاحية السائدة فيها. فقد راح مُحَمَّد بلو يختلف إلى تلك المعاهد العلمية المكتظة بالعلماء النابغين، ويحتك بطلابها الراغبين في الأخذ عن أصحابها، ويمكن تقسيم نشاط الشيخ مُحَمَّد بلو العلمي إلى ثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى: المرحلة القرآنية:**

[1]- الشيخ عبدالله بن فودي، تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات، مطبعة البابى الحلبى، القاهرة ببابى، ٢٨٣هـ ص: ٢١-٢٢.
[2]- إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص: ٢٧.
[3]- الشيخ عبدالله بن فودي، المصدر السابق، ص:٢٠.

وهي مرحلة يتفرغ فيها الصبي لقراءة القرآن الكريم في المدارس القرآنية، وهي عادة أهل المغرب وشمال إفريقيا وغربها وبلاد البربر وغيرها، يقول ابن خلدون في ذلك: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بشيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر، ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه... إلى أن يجاوزوا حد البلوغ أو الشبيبه..."[1]

فكان هذا منهج تعليم أطفال المسلمين في غرب أفريقيا وبلاد هوسا بوجه خاص، ومُحَمَّد بلو ذاته عايش هذه المرحلة وتحدث عن مروره بها في صباه: "كنت منذ نشأت وقرأت القرآن، وتعلمت العلم، لازمت الشيخ أتصفح أحواله، وأستمع إلى مقاله، وأنا غلام حدث حتى حصل لي من بركة الشيخ ما سار به الركبان، وحدث به السمار في العمران..."[2] وهو فيما يبدو أنه أتم هذه المرحلة قبل سن البلوغ.

المرحلة الثانية:وهي مرحلة الأخذ من العلماء:

وفيها لازم والده الشيخ عثمان، وعمه عبدالله وتبدأ هذه المرحلة بأخذ العلوم اللغوية عند عمه الشيخ عبدالله بن فودي حيث قرأ عليه كتبا عديدة منها: إضاءة الدجنة في التوحيد، والكوكب الساطع في أصول

[1]- عبدالرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار العودة بيروت، د. ت. ص: ٤٤٧.
[2]- إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص: ١١٣.

الفقه، وألفية ابن مالك في النحو، ولامية الأفعال لابن مالك في التصريف، وتلخيص المفتاح، والجوهر المكنون في البلاغة.

ثم لازم والده فأخذ عنه التفسير وأصول الدين، والحديث، وقرأ عليه الإنسان الكامل في الحقيقة، وفي ذلك يقول: "وأخذت عن الشيخ الوالد التفسير وأصول الدين والحديث، وقرأت عليه الإنسان الكامل في الحقيقة، وأخذت عنه علوما جمة، وفوائد كثيرة، واشتهرت بين الطلبة مع الملل والكلال".[1]

المرحلة الثالثة: مرحلة التخصص:

انتقل مُحَّد بلو إلى مرحلة التخصص، تلك المرحلة التي يبحث فيها الطالب عن العلماء المتخصصين في فن من الفنون العلمية التي يريد التخصص فيها، وربما يقرأ عنده كتابا سبق أن درسه للاستفادة وإكثار الشيوخ، فجرى الشيخ مُحَّد بلو على عادة معاصريه، فأخذ يغدو ويروح إلى جهابذة زمانه لتوسيع معلوماته، فدرس في النحو إضافة إلى ما درسه عند عمه: ألفية ابن مالك إلى باب جمع تكسير... عند أخيه سعد، وأخذ العيون الغامضة لحل رموز الرامزة إلى أثنائها عن أبي مُحَّد محمود صاحب والده.[2]

هذا، ومن العلماء البارزين الذين كان لهم دور خطير في حياة الشيخ أمير المؤمنين مُحَّد بلو العلمية، والذين لهم أثر نفسي والتصوري في حياته

[1]- المصدر السابق والصفحة.
[2]- المصدر السابق والصفحة.

الشيخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد الوَنْكَرِي التُّمْبُكْتِي، الذي وصفه مُحَمَّد بلو بقوله: العالم الفقيه، المتفنِّن، الصالح العابد الناسك، كان من صالح خيار عباد الله الصالحين، والعلماء العابدين..." لازمه أكثر من عشرين سنة، فختم عنده مختصر الخليل بقراءته وقراءة غيره عشر مرات أو ثمان، وختم عنده الموطأ، وتسهيل ابن مالك قراءة وبحثًا وتحقيقًا مدة ثلاث سنين، وأصول السبكي بشرح المحلي ثلاث مرات قراءة تحقيق وألفية العراقي بشرح مؤلفها، وتلخيص المفتاح بمختصر سعد، وشرح الجزائرية، وقرأ عليه صحيح البخاري نحو النصف، وصحيح مسلم كله، وفسر عليه إلى أثناء سورة الأعراف... وباحثه كثيرا في المشكلات، وراجعه في المهمات، يقول الشيخ مُحَمَّد بلو عن ملازمته لهذا الشيخ، "...فهو شيخي وأستاذي، ما نفعني أحد كنفعه، وبكتبه رحمه الله تعالى وجازاه بالجنة، وأجازني جميع ما يجوز له وعليه، وأوقفتُه على بعض تواليفي فسر به، وقرظني عليه بخطه، بل كتب عني من أبحاثي وسمعته ينقل بعضها في درسه لإنصافه، وتواضعه، وقبوله الحق حيث تعين"[1] ودرس على غير هؤلاء خلقا كثيرا.

وإلى جانب معرفته بالعلوم الشرعية واللغوية، كان على دراية تامة بعلم الإدارة والسياسة، وقد ساعده ذلك على مواجهة ما اعترضه من شئون السياسة العملية سواء في حياة والده أو بعدها، وتعتبر مؤلفاته في علم الإدارة والسياسة عن شخصية متميزة في هذا المجال، وكتابه "الغيث الوبل في سيرة الإمام العدل" يعتبر أعظم كتاب ألفه أحد رجال الجهاد في

[1]- إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص: ٢١٥.

غرب إفريقيا في علم السياسة الشرعية[1] فلا عجب فإنه قد شهد له والده في حياته عن براعته في علم الإدارة والسياسة ما نصه: فاشتغلوا بقراءة تواليف ولدي مُحَمَّد بلو، لأنه مشتغل غالبا بحفظ السياسة بحسب الأشخاص والمقاصد، والأزمنة، والأمكنة، والأحوال..."[2]

كل هذا يشهد بعلو همة هذا الشيخ في تحصيل العلم إفادة واستفادة ما يبشر له بمستقبل جيد، فكان في مجال العلم والفطنة والذكاء آية من آيات الله تعالى في أرضه، وقد أشار إلى ذلك المرحوم الوزير جنيد فقال: "... وقد منّ الله تعالى عليه بمعرفة الكتاب والسنة علما صحيحا، وآتاه من الذكاء والبصيرة والفهم والعقل، والفطنة، وفصاحة القول، ونصاعة الألفاظ، وسعة البلاغة مالم يؤت غيره، فأدرك في يسير من الزمن مالم يدركه غيره في الأحقاب المتطاولة، فاستفزز العلوم كلها، فاستوى على المعاني والحقائق، وتضلع بالأسرار والدقائق ولاحظته السعادة الإلهية، واستفردته التربية الربانية، وسرت فيه نورانية الشيخ فغمسته بركاته وخيراته، فصار بحمدالله تعالى آية الله في أرضه، وأقام مطالعة على كتب لا تحصى حتى عدها في بعض الليالي فوجدها عشرين ألفا وثلاثمائة كتابا".[3]

إسهاماته في بناء الدولة السَّكُوتِيَّة:[4]

---

[1]-أنظر: الدكتور محمد علي السكاكر: محمد بلو والدولة الصكتية في عهدة، ص: ٥٥.

[2]- الشيخ عثمان بن فودي، مختارات من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، ج٣، دار إقرأ، غرشي، أنغور غرشي (د.ت) نجم الإخوان، ص: ٢٦٢.

[3]- الدكتور شيخ عثمان كبر: المرجع السابق، ص: ٢٠١-٢٠٢.

[4]- وقد جعل الناس كتابة سكوتو من القضايا الجدية حيث إن المتقدمين كتبوها مرة "سكت" بالسين والكاف والتاء المفتوحة، سكت ومرة يزيدون بعدها واواً، سكتو، ومرة يكتبونها بالصاد والكاف والتاء المربوطة، "صكة" وزاد بعضهم بعد التاء واواً "صكتو" والأحسن كتابة الإسم كما ينطق به أهله، إذا القاعدة المتعارف عليها هي ينطق بالإسم كما ينطق به أهله، وكتابته كما ينطق، لأن الحروف رمز للأصوات، فعليه فالأحسن كتابته بالسين والكاف بعده واو، والتاء به فكتبه حسب لغته كالإنجليز الذين كتبوه هكذا "سوكوتو" ومشى عليه بعض الباحثين وهو مردود.

كان لأمير المؤمنين مُحَمَّد بلو له إسهامات في رفع كلمة الشهادة في الدولة السَّكوتية، وله دور لا ينكر في قمع البدع الشيطانية، وإحياء السنة المحمدية في هذا البلد، وذلك عند ما قام والده الشيخ المجدد بالإصلاح الديني في القرن التاسع عشر الميلادي، وفيما يلي بيان موجز عن أهم أدواره في بناء الدولة السكوتية.

بدأت إسهاماته تظهر بعد مبايعة والده الشيخ عثمان أمير المؤمنين، إذ هو أول من بايع الشيخ بعد عمه الشيخ عبدالله، فقد اصطفي الشيخ عثمان أشخاصا، وأوكل إليهم مهاما محددة، فكان من كبار مستشاريه ابنه مُحَمَّد بلو، وأخوه عبدالله بن مُحَمَّد فودي، وعمر أَلْكُمُو، ومُحَمَّد سَنْبُو، وعَلِيُّ جيدو (جِيطُو).

وقد أوكل الشيخ عثمان ابنه مُحَمَّد على كثير من الأمور المهمة في الدولة السكوتية، فتولى جزءًا من قيادة الجيوش وتنظيمها، بالإضافة إلى أنه كان يتولى بعض المهام الخاصة بالشيخ، فكأنما هو الوزير للشؤون الخاصة، وغالبا ما يقوم بكتابة الرسائل لأمير المؤمنين عثمان بن فودي، مثلما كتب إلى شيخ "بَرْنُو" عندما كتب إلى الشيخ عثمان يسأله عن سبب قتاله لملوك هوسا[1]، ويطلب منه أن يمنع الفلاتيين عن الهجرة من بلده، فكتب مُحَمَّد بلو

[1]- هوسا، كلمة تعنى الوطن واللغة والشعب، ويسميهم جيرانهم بأسماء مختلفة: فالكانوري يطلقون عليهم "أفنو" والفلاتيون ينادونهم "هابى" واليوربا يسمونهم "غمبري" أما في المملكة العربية السعودية فيعرف الهواسا وسائر الأجناس الوافدة من أفريقيا جنوب الصحراء بـ"تكرور" أما في جمهورية السودان فيطلق لفظ "فلاتة" على المنحدرين من أصول الهوسا والفلاتي والكانورى (البرنو) والزبرما وغيرهم.

وتوجد ثلاثة آراء مختلفة حول تفسير كلمة هوسا: الأول، أنها تحريف لكلمة، الحبشة، الثاني: أنها تركيب مزجى من كلمتي (Hau) بمعنى: اركب، و (sa) أي الثور ومعناها راكب الثور، الثالث: القول بأن أصل الكلمة من لغة سنغاي، ومعناها في تلك اللغة اتجاه الشرق والصفة اليسرى للنهر، وكلها أوصاف تنطبق على موقع الهوسا بالنسبة لأرض السنغاي. فالقول الثاني أقرب الأقوال إلى الصواب. راجع، الطاهر محمد داود، مدى صلة القربى بين اللغة العربية ولغة هوسا، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو، لنيل شهادة الدكتوراة، ٢٠٠١/٢/١م ص: ٨٩ بتصرف.

إلى ذلك الشيخ بأمر من الشيخ إجابة يوضح فيها سبب قتالهم لأمراء وملوك هوسا، وحذره من مساعدتهم ومؤازرتهم، وبين له أن من ساعدهم، فهو مرتد عن الإسلام، كما طلب من شيخ برنو أن يعلن تأييده ومناصرته للحق الذي يدعو إليه الشيخ عثمان ﷺ،[1] وكذلك دارت بين الشيخ عثمان وشيخ برنو مراسلات عديدة أظهرت شخصية مُحَمَّد بلو ومدى ما يتمتع به من علم جعله يتصدى ويدافع عن دعوة وجهاد والده الشيخ عثمان.

ومن أعمال مُحَمَّد بلو – أيضا أن والده الشيخ عثمان كان يعتمد عليه في حل الخلافات التي كانت تنشأ بين بعض أفراد الجماعة في ولايات التابعة لهم، فقد أرسله والده لحسم الخلاف الذي نشب بين جماعة الشيخ في "زُورْمي" و"كَنُو" حول منصب الإمارة، واستطاع مُحَمَّد بلو أن يحسم الخلاف، وأن يعيد السلام والوئام بين جماعتهم في "زُورمي" وكنو".[2]

أما طريقة كتابة اللفظة فقد ظهرت في مؤلفات القرن الثالث عشر الميلادي خاصة في مؤلفاته الجغرافي العربي مثل ابن سعد "الحوصين" نظرا إلى الخِلْقة لأن "حوص" تعنى من ضاق مؤخر عينه حتى كأنها خيطت، وظهر في المؤلفات قرن التاسع عشر الميلادي، مثل مؤلفات الشيخ محمد بلو "حوس" لما في معناها من التفاؤل؛ إذ اللفظة تدور معناها في الجنون وخفة العقل، والاختلاط والفساد هذا في اللغة العربية، وأما الهوسا عند أهل الهوسا فلا تفيد الجنون أبدا، يقول الدكتور محمد أول شاوش: فالهوسا لغة: والهوس هو الجنون لكن ليس عندنا نحن أهل الهوسا، ولا ينبغي أن تفرض علينا موافقة اللفظيان نقادر فهمنا مما جاء في لغتنا موافقا لما في العربية إلى تبنِّى المعنى العربي لمجرد تلاؤم اللفظين فقط. وإنا أرى أن نكتب الهوسا كما نتلفظ بها (الهوسا) وأما الهوسا أو الحوصا فقد خالف ما نتلفظ به، ولا نتبناه لإرضاء العرب، يقتضي في ذلك آثار القدماء الذين رأو أن نكتبها بالحاء المحملة إرضاءً للعرب، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: "وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بُورا" و"بُورًا" في الهوسا تفيد معنى يخالف ما ورد في الآية الكريمة ولكننا تقرؤها دون أن نفهمها كما وردت في الهوسا.

وقد وقفت على معنى اللفظين المتلائمين كتابة والمختلفين معنى (كُلْ) الذي يفيد معنى الأمر عند الأكل في اللغة العربية، ثم يفيد معنى نهي الصغير عند فعل شيء ممنوع في لغة الهوسا.

وأنا هنا أميل إلى رأي المتأخرين الذين رأوا أن تكتب الهوسا كما تنطق لفظا، والله الموفق.

فلذلك لجأ المتقدمون إلى كتابة اللفظة بالحاء المهملة، والواو والسين المهمة نظرا إلى معناها في اللغة العربية، وكتبها المتأخرون "هوسا" بالهاء والواو والسين المهملة، نظرا إلى كيفية النطق لأن الحاء والصاد من خاصية اللغة العربية، ، ولا ينبغى أن يعلل بمعنى اللفظ في العربية، لأن الكلمة ليست عربية. وتثبت ثلاثة أوجه عند النسبة، هوسى، وهوسوي، وهوساوي.

[1]- أنظر الدكتور علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص: ١٠٩-١١٣، وانظر أيضا الدكتور علي السكاكر، المرجع السابق، ص:

[2]- أنظر: الشيخ آدم عبدالله إلوري، الإسلام في نيجيريا، والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، بدون معلومات النشر، ص: ١١١-١١٩، وانظر أيضا، الدكتور محمد علي السكاكر، ص: ٥٩.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ عثمان ﷺ كان يعتمد على ابنه مُحَمَّد بلو في كتابة الرسائل إلى الملوك والعلماء في بلاد هوسا خاصة، ومنطقة غرب إفريقيا عامة، لأن مُحَمَّد بلو كان من الكتاب البارزين الملمين بقواعد اللغة العربية، بالإضافة إلى إجادة اللغة الفولانية، ولغة هوسا.

ومن أهم الأعمال التي قام بها الشيخ مُحَمَّد بلو، أنه تولى الإدارة والإشراف على أكثر ولايات الدولة السكوتية، وذلك أن الشيخ عثمان لما أتم فتح جميع ولايات الهوسا، رأى أن يسند مهمة إدارة هذه الولايات إلى من يثق بهم من جماعته، فقسم دولته في سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٢م إلى قسمين: شرقي وغربي، ثم أسند مهمة إدارة القسم الغربي إلى أخيه الشيخ عبدالله بن فودي، ﷺ- وأما القسم الشرقي فأسند مهمة إدارته والإشراف عليه إلى ابنه الشيخ مُحَمَّد بلو، ويشمل القسم الشرقي ولايات كنو (Kano) وهطيجيا (Hadeja) وأدماوا (Adamawa) وبوثى (Bauchi) وغومبى (Gombe) وكتاغم (Katagum) ومسو (Misau) وكشنا(Katsina) وزنفرا (Zamfara).

وأما القسم الغربي فيشمل ولايات نُوفى(Nupe) وإلورن (Ilorin) وكبى(Kebbi) وياورى (Youri) وغورما (Gorma) وزبرما (Zaberma) وكامبا (Kamba) وأريو [1](Arewa).

ويتضح من هذا القسم أن مهمة الشيخ مُحَمَّد بلو الإدارية كانت كبيرة فالمناطق التي كان يشرف عليها، هي المناطق الأساسية لدولة الشيخ

[1]- السكاكر، المرجع السابق، ص: ٦٥.

عثمان، وقد تميز مُحَمَّد بلو بقدرات إدارية فذة منذ بداية الدولة، فأوكلت إليه مثل هذه المهام، فكانت الإدارة الفعلية في يد مُحَمَّد بلو الذي قضى على الثورات المحلية، وسعى لنشر الإسلام بين جماعات الهوسا ممن لم ينتشر الإسلام فيهم، وفوَّض إليه الشيخ أمر إدارة هذه الولايات.[1]

العوامل التي كونته شاعرا:

يهدف الباحث في هذه السطور إلى رسم أهم العوامل التي ساعدت في تكوين شخصية أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو شاعرا، وهي على النحو التالي:-

أ- البيئة: بما أن الإنسان لايتكون من فراغ، فإن للبيئة دورا فعّالاً في تكوين حياة الفرد ونفسيته، فهي تمتزج بكيان الفرد ودمه حتى لتصبح جزءًا من طبيعته وتؤثر في كل ما يحيط به. والبيئة إذًا من أهم العوامل المؤثرة في نمو الطفل جسميا، وعقليا، وأخلاقيا، من أول حياته إلى آخرها.[2]

والبيئة الأولى التي ساعدت على تكوين شاعرية مُحَمَّد بلو أسرته التي كانت من أفضل الأسر تربية، وأشهرها علمًا بما احتوت عليه من الأفذاد الفطاحل، وكان لها صدى ظاهر في أشعاره، استمع إليه وهو يعبر عن جهد عمه الشيخ عبدالله في تكوينه.

تبت يدا الفقرا تولى خيرهم * فالدهر بعد الحطب جاء بجدبه

عمى وصنو أبي وأستاذ الذي * للعلم أسقاني وجاد بعذبه[3]

---

[1]- أنظر السكاكر، ص: ٦٦، بتصرف.

[2]- الدكتور المتبولي شيخ كير، قسم اللغة العربية، جامبعة بايرو كنو، صور بيانية في شعر الشيخ محمد الناصر كبري، شركة القدس، القاهرة، ط١، ١٤٣٤-٢٠١٣م ص: ٥٥ نقلا من مبادئ علم النفس للصف لثاني الثانوي.

[3]- أمير الممؤمنين محمد بلو: المصدر السابق، ص: ٣٣.

فلإن كان الذكاء شيئًا يورث من أبوين أو أحدهما حسبما تقوله الأبحاث السيكولوجية،[1] فإن أمير المؤمنين مُحَّد بلو انحدر من سلالة أُسْرَةٍ عريقة في العلم والذكاء وتربى في أحضانها.

والبيئة الثانية: بلده الذي عاش فيه الذي كان مليئًا بالعلم والعلماء، حافلاً بالمعاهد العلمية، والمجالس الذكرية، فقد سبق ذكر بعض المشارين إليهم بالبنان في الحقل العلمي في البيئة، واختلافه إليهم لينهل من عبابهم، ويغترف من معين علومهم، حتى آل به الأمر حيث يمكث عند شيخ أكثر من عشرين سنة.

ب- كثرة المطالعة:

كان إلحاح الشيخ مُحَّد بلو المفرط على القراءة والمطالعة عاملا قويا في تكوين شخصيته الأدبية إذ كان شغوفا بهما، يواصل ليله بنهاره، حتى قيل: إنه كان يجاهد في النهار ويذاكر بالليل.[2] فصار آية من آيات الله في العلم يقول هو الآخر عن نفسه تحدثا بنعمة الله تعالى بعد ما ذكر ما من الله عليه من المعرفة بالكتاب والسنة والفقه واللغة: "...وفقت على مطالعة وقراءة على كتب لا تحصى حتى عددتها في بعض الأيام عشرين ألفا بعد ثلاثمائة، والحمد لله مع ما منحني المولى جل وعلا من المعارف اللدنية، فإنه

[1]- الدكتور سامي محمد ملحم: القياس والتقويم في التربية وعلم النفس، دار المسيرة بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ص: ٢٩٠.
[2]- الدكتور ثاني خامس، إفادة الطالبين مسح وتقويم عام، ص: ٢٤/٢١.

فتح علي كتابه العزيز وآتاني فهمه، وأطلعني على دقائق معارفه، وأوقفني على غرائب مكنونه".[1]

ج- التأثر بدواوين الشعراء:

كان أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو حريصا على هضم أشعار الجاهليين، وقد ذكر أنه كان يدرس دواوين الفحول من الشعراء وخطبهم ويحفظها، فترسم على لوح قلبه وعلى صحفة ذهنه، ويكون ذلك فيه ذوقا سليما وشعورا عميقا،[2] لذا كان يتأثر كثيرا بمعاني هؤلاء الشعراء وألفاظهم، ويقلدهم في الأوزان والقوافي، وافتتاح القصيدة بالنسيب، ويظهر تأثره بهم في شعره، اقرأ مثلا قوله:

شفا النفس إدبار التوارق يومها *فخابت ظنون أغْنَبُلُ ثم أدبرا
تصيح الردينيات في حجباتهم * وتسقيهم كأس المنايا المخمرا[3]

فلا شك أن صدر البيت الثاني يذكرك بقول عنترة:

تصيح الردينيات في حجباتهم * صباح العوالي في الثقاف المثقف

كما أن عجز البيت الثاني أيضا يفيد تأثرًا واضحًا بقول امرئ القيس:

إذا نال منها نظرة ربع قلبه *كما ذعرت كأس الصبوح المخمرا[4]

---

[1]- المرجع نفسه، والصفحة.
[2]- محمد بلو، الغيث الوبل في تاريخ الإمام العدل، تحقيق عمر بللو، بدون معلومات النشر، ص: ٧١.
[3]- أمير المؤمنين محمد بلو، إفادة الطالبين مخطوط، ص: ١٥.
[4]- ديوان امرئ القيس، مراجعة محمد عبدالرحيم، دار الكتاب العربي-سوريا، د.ت. ص: ٦٤.

وكذلك قول الشيخ مُحَمَّد بلو في رثاء والده الشيخ عثمان بن فودي رضي الله عنه:[1]

بانت فعز على الفؤاد سعاد * أيرى لمن شطت عليه فؤاد[2]

يذكرك صدر البيت بصدر بيت كعب بن زهير.[3]

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *

وكذلك عند قوله في هجاء التوارك:

ولو وزنت شيوخ غرس جميعا * على الميزان ما وزنوا ذبابا[4]

هذا يذكر القارئ بقول جرير:

ولو وُزِنت حلوم بني نمير * على الميزان ما وزنوا دبابا[5]

ويقول أيضا في ذكر آباءه وأجداده[6]:

فَكُلٌّ عَلَى نَهْجٍ قَوِيمٍ مُسَبَّلٍ * إِلَى الْفَوْزِ بِالْخَيْرَاتِ فَاشْرَحْ بِهِ الصَّدْرَ

أُولَئِكُمُ قَوْمِي وَأَصْلُ عَشِرَتِي * لِطُوْرِبن اسْمَاعِيلَ نُعْزَى وَنُسْتَقَرْ[7]

يذكرك البيت الأخير قول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا ياجرير المجامع

وهذا كثير في شعر الشيخ مُحَمَّد بلو، ولم يقتصرعلى حفظ قصائد المتقدمين والمتأخرين فحسب، بل كان كثير التأثر بأشعار معاصريه وظهر

[1]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٤٢.
[2]- الشابيني، شريدة، جواهر الشعر، دار الحديث القاهرة، طبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. ص: ٢٥٨.
[3]- الشابيني، المرجع السابق،ص: ٣٨٣.
[4]- المصدر نفسه، ص: ٦٧.
[5]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق ص: ٦٧.
[6]- المصدر نفسه والصفحة
[7]- المصدر نفسه والصفحة

صداها في شعر كثيرا مثل عمّه الشيخ عبدالله بن فودي الذي يعتبر من روَّاد شعراء القرن التاسع عشر الميلادي، فإنك بمجرد أن قرأت قوله:

فمن قتلوه بلغوه مراده * فطوبى له واللطف والمسك أذفرا

فروح وريحان وجنة خلده * وورث حورا من نساء حرائر

ومن حلل الفردوس يكسى جميعها* حريرا وديباجا وذهبا مهصرا[1]

فهذه الأبيات تذكر، كقول الشيخ عبدالله:

وإن سر غوبر والتوارق ذاك وال*قتال سجال ليس مرجعنا سوى

فمن قتلاهم في جهنم دائما * ومن في جنان الخلد ليسوا على استوى[2]

وكذاقول الشيخ مُحَمَّد بلو:

حمدا وشكرا لرب العلا * حباها بخير وميض وميض[3]

يذكرك بمطلع قصيدة الشيخ عبدالله:[4]

حمدا وشكرا لربي الواحد الباري *على هلاك طغاة من بنى غاري[5]

وهذا كثير يصعب حصره كله فذلك دلالة واضحة على ما تمتعت به قريحته من الولع بالأدب العربي الخارجي والداخلي.

د- التصوف: كان أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو صوفيا منهمكًا على مشرب الطريقة القادرية، فقد تأثربذلك شعره كثيرا، فكان يذكر كثيرا من المصطلحات الصوفية مثل كلمات: حضرة، الحجاب، الغوث، القطب،

---

[1]- المصدر نفسه والصفحة

[2]- المصدر نفسه والصفحة.

[3]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص: ١٢

[4]- الشيخ عبدالله بن فودي، المصدر السابق، ص: ١١٩.

[5]- أصل اللفظ: غاري: غُوَاري: بآغي، وهكذا يسمون إلى يومنا هذا في بلدهم، وأما سائر أهل الهوسا فيسمونهم: غُوَاري.

المشاهدة، التجلي، الفناء، الوصول، وغيرها كثير، فهي كلمات ذات معنى في التصوف، لها صدى في قصائده، اقرأ مثلارائيته التي مدح بها أهل النوبة لترتشف هذا المدام الصوفي القادري حيث يقول:[1]

يا أهل نوبة هذا الوقت للباري قصدتكم فأمدوني بأنواري
أنتم ذخيرتنا في كل نائبة وأنتم عوننا في نجح أوطاري
عونا على فتح أبواب الدخول إلى حضرات وصل تداني القرب الباري
فداركوني فقد خلفت في حجب وغلق الباب دوني يا لأخياري
عونا وغوثا على نفس تقود بنا في كل يوم وتدعونا إلى النار
سجنت في قيد رسم لايفارقني فكوا قيودي من كون وأستاري
حتى أشاهد في الأفعال قدرته تجرى الأمور على أسلوب مقدار
وتضمحل صفات الكون ذاهبة إذا تجلت صفات الحق كالطار
وأشهد الذات بعد فناء مرتبة والوصل يعتقني من رق أغيار
ربي بهم فاستجب لدعائنا بهم إليك أرفع بثّى فاقض أوطاري

وهناك عوامل أخرى غير ما ذكر مثل الظروف المحيطة بالشاعر تظهر صداها في أشعاره بصورة بسيطة.

المؤلفات التي خلّفها:

سبق أن أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو تربى في بيت علم وثقافة فلا غرابة أن يترك للجيل اللاحق مع اشتغاله بالحروب والسياسة والإدارة مؤلفات ضخمة، ورسائل قيمة، وقصائد طوالاً وقصارًا، وقد ألف كتبًا عديدة في

[1]- أمير المؤمنين محمد بلو: المصد السابق، ص: ٨٠.

علوم الحرب والسياسة والإدارة، وفي الدين، والطب، وأصوله، والصيدلة وأنواعها.

ويكفيه فخرا ما سبق ذكره أن والده الشيخ عثمان رغب الناس في قراءة مؤلفاته حيث قال: ...فاشتغلوا بقراءة تأليف أخي عبدالله لأنه مشتغل غالبا بحفظ ظاهر الشريعة، واشتغلوا بقراءة تأليف ولدي مُحَمَّد بلو لأنه مشتغل غالبا بحفظ علم سياسة الأمة،[1] بحسب الأشخاص والمقاصد والأزمان، والأمكنة والأحوال، واشتغلوا أيضا بقراءة تآليفي لأني مشتغل بحفظ الطرفين غالبا..."[2]فهذه أكبر شهادة تدل على مكانته العلمية.

كانت مؤلفات أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو تزيد على مائة ما بين كتب ورسائل في مختلف مجالات العلم والمعرفة، وذلك لما كان فيه من حرص على التعلم والتعليم لا لنفسه فحسب، بل لأولاده وإخوانه يشجعهم ويشدد عليهم في تركه إضافة إلى شدة رغبته بحركة التأليف، وكان يقول: "إن أهل هوسا سفهوا أولادنا، يقولون لهم إن بيتكم بيت ولاية وزهدوهم في التعلّم، وذلك كله كذب وغرور وبهتان وزور، لأن التعلم لايحرز إلا بالتعلم، والعلماء أقرب إليه من كل أحد، ونزل منهم منزلته".[3]

وفيما يلي ذكر لبعض من المؤلفات التي خلفها الشيخ مرتبة هجائيا:

(أ)

[1]- وفي هذا القول يظهر مطلب النقاد الذين ذهبوا إلى أن الشيخ عثمان ذكر ذلك ليرشح ابنه بلو كي يكون خليفته بدلا من شقيقه الأستاذ عبدالله بن فودي.

[2]- الشيخ عثمان بن فودي، المصدر السابق، ص: ٢٦٢.

[3]- إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص:٧٧.

- أصول السياسة
- الإعلام فيما يجب على الإمام
- آداب التوسل
- إفادة الإخوان
- أدوية الباسور
- إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور
- أسباب النصر للمجاهدين

(ب)

- البدر اللامع في ورد الجامع
- بيان الأركان والشروط للطريقة الصوفية
- البدور المسفرة في الخصال التي تحصل بها المغفرة
- البدر اليمني في أخبار أويس القرني

(ت)

- تنبيه الغافل
- تنبيه الإخوان على أدوية الديدان
- تنبيه الجماعة على أحكام الساعة
- تخميس البردة
- التوسل بخير الرسل
- تنبيه الراقد
- التنبيهات الواضحة

- تعليق على الدرر
- التربيح في صلاة التسبيح

(ج)

- جواب شاف وحطاب مناكاف

جمع النقول في أحكام الغلول

جلاء الصدور

(ح)

- حلية البصائر عن الأحكام اللازمة للمسافر

(د)

- الدرر الزاهرية
- الدرية في بعض المصطلحات الصوفية

(ر)

- رفع الاشتباه
- رسالة في الأمراض شافية
- رسالة إلى جماعة المسلمين
- رفع الاشتباه في التعلق بالله وبأهل الله
- رفع الشبهة في التشابه بالكفرة

(س)

- السيف المسلول
- سرد الكلام فيما جرى بيننا وبين عبدالسلام

(ش)

- شمس الظهيرة فيما يجب على الوالي
- شفاء الأسقام في ذكر مدارك الأحكام
- شرح القصيدة التائية البدماسية

(ض)

- ضياء العقول

(ط)

- الطريقة الصوفية
- الطب الهين طب النبي

(ع)

- العوامل في النحو
- علم الجمل
- عجالة الراكب في الطب الصائب
- علم التبصرة

(غ)

- غاية السؤال في تفسير الرسول
- الغيث الوبل في سيرة الإمام العدل

وهذه بعض المؤلفات التي خلّفها أمير المؤمين مُحَمَّد بلو ﷺ وأرضاه.

وفاته:

وبعد هذه الخدمة التي قدمها الشيخ مُحَمَّد بلو للإسلام والمسلمين انتقل إلى جوار ربه عشية الخميس، الخامس والعشرين من رجب الفرد من شهور

سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد الألف ١٢٥٣هـ، ودفن في وُرْنُو بلده وموضع رباطه وفي داره بِوُرْنُو بوصيته، وعمره ثمان وخمسون سنة إلا شهر.[١]

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة، وكان آخر كلامه في الدنيا "لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله ﷺ قالها ثلاث مرات، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾"[٢] وخر إلى وسادته ولم يبلغ رأسه الوسادة إلا بعد ما فاضت روحه رضي الله عنه وأرضاه، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.[٣]

[١]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق والصحفة، وانظر أيضا، الغيث الوبل في سيرة الإمام العدل، أمير المؤمنين تحقيق عمر بلو، جامعة عثمان بن فودى، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ص: ٧.

[٢]- سورة الأعرف: الآية: ٣٤.

[٣]- المصدر نفسه والصفحة.

المبحث الثاني: التعريف بالديوان:

مفهوم كلمة الديوان:

"الديوان" ذهب ابن السكيت على كسر دال كلمة "الديوان"، ويفتح عند الكسائي وحكاها سيبويه، وقال: إنما صحت الواو في "ديوان" وإن كانت بعد الياء، ولم تعتل كما اعتلت في سيد لأن الياء في ديوان غير لازمة، وإنما هو فعّال من دونت، والدليل على ذلك قولهم: دويوين، فدل على أنه فعال وإنك إنما أبدلت الواو بعد ذلك، قال ومن قال: فهو عنده بمنزلة بيطار.[1]

قال الجوهري: أصله دوان فعوض من إحدى الواوين ياء لأنه يجمع على "دواوين" ولو كانت الياء أصلية لقالوا دياوين.[2] قال ابن برى وحكى ابن دريد وابن جنى أنه يقال "دياوين" وقد دونه تدوينا أي جمعه[3] قال أبو عبيدة: هو فارسي معرب، وأورده الجواليقي في المعرب، وكذا الخفاجي في شفاء الغليل، وقال الكسائي: هو بالفتح لغة مولده.[4]

ومعناه: "مجمع الصحف" أو "الكتاب" يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية" وقال الماوردي في الأحكام السلطانية "إن الديوان موضوع لحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من أعمال وأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال، وأول من وضعه هو عمر بن الخطاب ﷺ.[5]

---

[1]- الزبيدي محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، المرتضى، تاج العروس ن جواهر القاموس، (د.ت) فصل الدال (ج١) ص: ٨٠٣٨، وانظر أيضا: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، العلمية، سنة ٢٠٠٠٢م، ج٩، ص: ٤٣٥.

[2]- المرجع نفسه والصفحة

[3]- المرجع نفسه والصفحة

[4]- المرجع نفسه والصفحة

[5]- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ط٤، بيرت: مادة دَوَنَ، ج٣، ص: ٣٦٢.

وإنما سمى به لأن الكسرى لما اطلع على الكتاب ومعاملاتهم في سرعة، قال هذا عمل ديوان، أي عمل الجن، فإن "ديو" بالكسر تعنى "الجن" والألف والنون علامة الجمع عندهم فبقى هذا اللقب.

وقال المناوي: الديوان جريدة الحساب ثم أطلق على الحساب ثم موضعه، وفي شفاء الغليل أطلق على الدفتر، ثم قيل لكل كاتب الذي ينفرد بشعر شاعر معين، مجازا حتى جاء حقيقة فيه.[1] والديوان بهذا المعنى هو مجموعة قصائد شاعر واحد في أغراض ومناسبات مختلفة وفي مختلف البحور والقوافي.[2]

التعريف بالديوان المدروس:

هذا الديوان عبارة عن أشعار الشيخ مُحَّد بلو التي جمعها الوزير جنيد بن مُحَّد البخاري، وسماه "إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين مُحَّد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي تغمدهما الله برحمته".

ومن البديهي أن ينسب الديوان إلى ناظم القصائد وإن لم يكن هو الجامع، لأن دواوين القدامى نسبت إليهم وليسوا جامعيها، فللوزير جنيد فضل تتبع هذه القصائد وجمعها في مكان واحد.

والغرض الجوهري من وراء هذا الجمع هو الحفاظ على التراث العلمي الذي تركه الأجداد في شكل مخطوطات مبعثرة وغير معروفة عند الطلاب يومئذ، وتقريبها إليهم إذ كان حريصا على تراث الأجداد، وقد رسم ذلك في مقدمة الديوان وقال: "...لما وقفت على ديوان الرسائل للشيخ ابن

[1]- تاج العروس، مادة: الديوان، المرجع السابق والصفحة.
[2]- http:/www.wata.ceforum يوم الخميس، 25/05/2014 الساعة 11:49

إسحاق وهو ديوان مشتمل على رسائل أمراء المؤمنين من بعده إلى أمير المؤمنين أحمد الرفاعي، رجوت من الله تعالى أن يعينني على جمع ديوان مشتمل على ما قدرت عليه من قصائد أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو تبركا بذكره، ولما جبلت عليه من حبه لا لكوني أهلا لذلك..."[1]

فالديوان إذًا مختارات من أشعار أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو ولكن ليست كل أشعار أو قصائد أمير المؤمنين موجودة فيه، وفي قول الوزير: "على ما قدرت عليه" واسم الديوان "إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو "دلالة واضحة على أن للشيخ قصائد أخرى لم تجمع في الديوان.

فالديوان مشتمل على مختارات من أشعار أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو، وفيه اثنان وأربعون قصيدة، وسبع قطع وثلاث نتف.

وجملة أبياته خمس وثلاثون بعد ثمان مائة، في مختلف الأغراض الشعرية، من مدح، ومديح، ووعظ وإرشاد، وتوسل، ورثاء، وجهاد، وفخر وهجاء، وغزل، ومناسبات أخرى، وفيما يلي عدد قصائد كل غرض:

١- الجهاد،[2] إحدى عشر قصيدة.

٢- المديح، خمس قصائد.

٣- المدح، عشر قصائد.

٤- الرثاء، خمس قصائد.

٥- التوسل، خمس قصائد.

---

[1]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٣-٥

[2]- والغرض من هذا النوع من الشعر هو تسجيل الإنتصارات الكثيرة التي كانوا يفوزون بها ضد أعدائهم، وتحريض جماعتهم، وإثارتهم للقيام بالدفاع عن أنفسهم، وعن عقيدتهم الدينية، والتنديد بأعدائهم وتخويفهم بالترهيب والإنذار، الدكتور غلادنثي، ص: ١١٦.

٦- الفخر والهجاء، قصيدتين.

٧- الوعظ والإرشاد، خمس قصائد.

٨- المناسبة، ثلاث قصائد.

بعض خصائص الديوان:

لاحظ الباحث أن هذا الديوان جمع خصائص فنية قيمة، والتي يمكن رسم أهمها في النقاط التالية:-

- سهولة الألفاظ، تغلب على ألفاظ الأبيات السهولة، والأناقة وخاصة في المدح، والمديح والتوسل، والوعظ والإرشاد، حتى لايحتاج القارئ إلى الرجوع إلى القواميس كثيرا لفهم الأبيات.
- استعمال التراكيب السهلة، والتشبيهات الشائقة لإدراك المعاني الجميلة الجزيلة.
- استخدام المصطلحات الدينية والعلمية والصوفية.
- في الديوان الجزالة والقوة، حسب قول أبي هلال العسكري من أن جزالة اللفظ تتوافر له إذا لم يكن غريبا ولا سوقيا مبتذلا، ومعياره أن يكون بحيث تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله في محاربتها.
- التكلف والتصنع في اختيار الألفاظ الفخمة الغريبة، خصوصا في الرد على المخاصم والفخر والهجاء، وقد أكسبه ذلك أمور، منها:

أ- طبيعة عصر الشاعر.

ب- المناسبة التي قيلت فيها القصيدة.

ت- إبراز ذخيرتها اللغوية، ومحاكات سابقيها مثل الحريري وغيره.

ث- هـ تزويد الطلاب ببعض الألفاظ والتراكيب.

أما من حيث الأفكار، فإنها تتسم بالدقة والعمق والصدق الفني من حيث المضمون، مما اكسب الديوان بلاغة الزخرفة، والحلاوة مضافة إلى تناسق المعاني وانسجام الألفاظ التي تعبر عنها غالبا.

الفصل الثالث

التشبيه وصوره في الديوان

المبحث الأول: تعريف التشبيه وبلاغته:

التشبيه في اللغة العربية مصدر مشتق من شبه، يشبه التشبيه، وهو التمثيل، يقال: شَبَّه الشيء بالشيء أي مثله. وأقامه مقامه لصفة مشتركة بينهما، وأشبه الشيء الشيء ماثله.[1] وفي المثل: "من أشبه أباه فما ظلم "وأشبه الرجل أمه: كناية إلى عجزه وضعفه."[2]

أما التشبيه في اصطلاح البلاغيين فقد عُرِّف بتعريفات كثيرة تكفي الإشارة إلى بعض منها.

يقول أبو هلال العسكري في تعريف التشبيه، هو: "الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه، أو لم ينب".[3]

وعند أبي المنصور الثعالبي هو: الدلالة على اشتراك شيئين في بعض الصفات. ويلاحظ الفرق بين التعريفين، وهو أن التعريف الأول ذكر المشبه والمشبه به والأداة فقط، كما أن الثاني لم يتعرض لذكر الأداة، لكن يزيد التشبيه إيضاحا مماذكره ابن رشيق القيرواني بأنه: "صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لامن جميع جهاته لأنه، لوناسبه

[1]- إبراهيم مصطفي وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، بدون سنة، مادة: اشبه ص: ٤٩٧.
[2]- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مادة شبه.
[3]- أبو هلال، الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، كتاب الصناعين، در إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧١هـ - ١٩٥٦م ص: ٢٣٩.

مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم: خدّ كالورد: إنما أرادوا به حمرة أوراق وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفره وسطخ وخضرة كمائمه".[1]

أما الخطيب القزويني، فيعرفه بأنه "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، مالم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد".[2]

وعند ابن يعقوب المغربي، هو "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى مالم تكن على وجه الاستعارة التحقيقية، والاستعارة بالكناية والتجريد، وذلك بأن يكون بالكاف ونحوها، لفظا أو تقديرا".[3] وبذلك استوفي جميع عناصر التشبيه وقيوده، ولم يبق تلاحق إلا الأمثلة والشواهد تزيد التعريفات السابقة إيضاحا وظهورا.

والشيء نفسه عند حامد عوني حيث يعرف التشبيه بأنه إلحاق أمر (مشبه) بأمر (مشبه به) في معنى مشترك بينهما (وجه الشبه) بإحدى أدوات التشبيه، كأن والكاف.[4]

هذا، وقد عرفه الدكتور عبدالعزيز عتيق بقوله: التشبيه بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه.[5]

---

[1]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص: ٢٥٢.
[2]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.
[3]- ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، المكتبة العصرية، بيورت، ط١، ٢٠٠٦م، ١٤٢٦هـ ص: ٣٠-٣١
[4]- حامد عوني، المنهاج الواضح في البلاغة: الهيئة العامة لنشر المطابع، القاهرة، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.
[5]- الدكتور عبدالعزيز عتيق، علم البيان، ط١، القاهرة: دار المعارف العربية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ص:٣٧.

كما يعرف الأستاذ أحمد مصطفي المراغي بأنه إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف وكأن وما في معناهما) لغرض (الفائدة).[1]

والملاحظ في هذا التعريف أنه زاد على سابقيه ذكر الغرض الذي من أجله يعقد المتكلم التشبيه، وقد عده بعضهم ركنا من أركان التشبيه.[2]

هذا قليل من كثير بالنسبة للتعريفات التي وردت من البلاغيين بخصوص التشبيه، وعند تأمل هذه التعريفات يقف القارئ على معنى واحد، تدورحوله كل هذه التعريفات وهو "أن التشبيه هو عقد علاقة أو مماثلة بين أمرين اتفقا في وصف أو أكثر لقصد التوضيح والإبانة بطريقة مخصوصة بلاغية".

الفرق بين التشبيه والتمثيل:

هذا، وقد أثار البلاغيون جدلا حول التشبيه والتمثيل، هل هما شيء واحد أو شيئان مفترقان، فيرى الشيخ عبدالقاهر الجرجاني أن بين التشبيه والتمثيل عمومًا وخصوصًا مطلقًا، فالتشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا، ويبرّر ذلك بأن التشبيه يكون من جهة أمور بَيِّن لا يحتاج إلى تأويل، كتشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل، كتشبيه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه، وبالحلقة في وجه آخر، والتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخدود بالورد، والشعر بالليل،

[1]- أحمد مصطفي المراغي، علوم البلاغة، البيان والمعاني، والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٤ – ١٤٣٥هـ ص: ١٧٩.

[2]- راجع الدكتور بسيوني عبدالفتاح قيود، علم البيان، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م، ص: ٢٠.

والوجه بالنهار، أو جمع الصورة واللون، كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنثور، والتشبيه من جهة الهيئة، كالقد اللطيف بالغصن، وكل ما يدخل تحت الحواس.

والتمثيل عنده هو التشبيه الذي يحصل بضرب من التأويل، كالحجة بالشمس في الظهور، فإن تشبيهها بالشمس من حيث ظهورها يكون كتشبيه الشيء بالشيء فيما مضى من لون أو صورة أو غيرها، إلا أن هذا التشبيه لايتم إلا بتأويل، وذلك كأن تقول: حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن لايكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين وبين رؤيتها، ولذلك يظهر الشيء لك، ولا يظهر لك إلا إذا كنت من وراء حجاب أو لم يكن بينك وبينه ذلك الحجاب.[1]

أما ابن الأثير ضياء الدين، فينعى على علماء البيان أنهم فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لكليهما بابا بمفرده، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع" وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا بابا، ولهذا بابا مفردا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال: مثلته به، ولا أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه".[2]

ولا غرو في رأي ابن الأثير، وقد عد التشبيه والتمثيل صنوين، إلا أن اتساع الدرس البلاغي والاهتمام بالتخصيص في أبوابه دعا أولئك العلماء

[1]- الإمام عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠١هـ =١٩٨١م ص: ٧٠-٧٥.
[2]- الدكتور عبدالعزيز عتيق، المرجع السابق، ص: ٤٨.

الذين أشار إليهم – إلى أن يفردوا لكل مباحث خاصة لما أوجبته دقة النظرة وسعة الاطلاع.

أركان التشبيه

هذا، وعند الرجوع إلى التعريفات السابقة للتشبيه مرة ثانية يلاحظ أن للتشبيه خمسة أركان لابد من توفيرها وظهورها صراحة أو ضمنا وهي:

١- المشبه: وهو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره.

٢- المشبه به: وهو الأمر الذي يراد إلحاقه غيره به ويسمى المشبه والمشبه به بطرفي التشبيه.

٣- وجه الشبه: وهو المعنى الجامع الذي يشترك فيه طرفي التشبيه ويكون في المشبه به أعرف وأشهر منه في المشبه غالبا.

٤- أداة التشبيه: ويقصد بها اللفظ الذي يربط بين الطرفين ويدل على التشبيه.

٥- الغرض من التشبيه: وهو الهدف، أو الفائدة، أو الغاية التي من أجلها يعقد المتكلم التشبيه في كلامه.[١]

وهذه الأمور الأربعة الأولى عن طريقها ينقسم التشبيه باعتبارات عدة كما سيأتي:

أقسام التشبيه:

ينقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى مرسل ومؤكد:

[١]- الإمام عبدالقاهر الجرجاني، المصدر السابق: ص ٢٠.

فالتشبيه المرسل: هو ما ذكرت فيه الأداة نحو: هو كالبحر في الجود، وقول الشاعر:

العمر مثل الضيف أو * كالطيف ليس له إقامة[1]

وقول المتنبي:

وإذا أشار محدثا فكأنه * قرد يقهقه أو عجوز تلطم

والتشبيه المؤكد: هو ما حذفت منه الأداة، نحو قوله تعالى: (وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ)[2] أي أن الجبال ترى يوم القيامة تمر كمر السحاب، أي تسير في الهواء كسير السحاب الذي تسوقه الرياح.

والتشبيه المؤكد أوجز وأبلغ من التشبيه المرسل، أما وجه كونه أبلغ، فمن ناحية ادعاء أن المشبه هو عين المشبه به، وأما وجه كونه أوجز فلحذف أداة التشبيه، وقد يُسمى التشبيه المرسل "مظهرا" كما يسمى التشبيه المؤكد "مضمرا".[3]

وينقسم التشبيه أيضا باعتبار الوجه إلى:

المفصل: وهو ماذكر وصرح فيه بوجه الشبه، نحو قول الشاعر:

يا هلالا يدعى أبوه هلالا *جل باريك في الورى وتعالى

أنت بدر حسنا وشمس علوًّا * وحسام حزما ونهر نوالا[4]

في البيت أربعة تشبيهات، وجه الشبه في الأول "حسنا" وفي الثاني "علوا" وفي الثالث "حزما" وفي الرابع "نوالا" وكلها مذكورة في التشبيه.

---

[1]- أبو القاسم، الحسين بن محمد الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاولات الشعراء والبلغاء، دار القلم، بيروت: ١٤٣٠هـ ١٩٩٩م، ج٢، ص: ٣٠٦.

[2]- سورة النمل: الآية: (٨٨)

[3]- الدكتور عبدالعزيز عتيق، المرجع السابق، ص: ٦٠-٦١.

[4]- أحمد مصطفي المراغي، علوم البلاغة، ص: ١٩٢.

المجمل: هو مالم يذكر فيه وجه الشبه، نحو قول الشاعر:

إنما الدنيا كبيت * نسجته العنكبوت[1]

فشبه الشاعر الدنيا ببيت العنكبوت، وحذف وجه الشبه الذي هو الهوان والضعف وعدم الاستقرار في كل.

قريب مبتذل: وهو ما ينتقل فيه الذهن، من المشبه إلى المشبه به من غير احتياج إلى شدة نظر وتأمل لظهور وجهه بادئ الرأي، فيسهل تداوله بين العامة والخاصة، وذلك إما لكونه أمرا إجماليا أو لكونه قليل التفصيل،[2] نحو "فلان خده كالورد" و"فلان وجهه كالبدر في الإشراق".

بعيد غريب: وهو ما احتاج في الانتقال من المشبه إلى المشبه به إلى فكر ودقة نظر لخفاء وجهه لكثرة التفصيل فيه. كقول الشماخ الذبياني:

والشمس كالمرآة في كف الأشل* .....[3]

فإن الوجه هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق، حتى ترى الشعاع كأنه ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض.[4]

تمثيل: وهو ماكان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور يحتاج إلى طاقة ذهنية، وخيال ثاقب للتأليف بين الأشياء وانتزاع الصورة نحوقوله تعالى: "﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ

---

[1]- أحمد مصطفي مراغي، المرجع السابق والصفحة.

[2]- المرجع نفسه والصفحة، وانظر أيضا السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م، ١٤٢٨هـ ص: ٢٠١-٢٠٢، وانظر يضا الحافظ جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان دار الفكر، بدون معلومات النشر، ص: ٨٨.

[3]- عبدالرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عالم الكتب، ط١، سنة ١٤٦٧م ١٩٤٧م ج١، ص: ٣٢.

[4]- الدكتور عبدالعزيز عتيق، المرجع السابق، ص: ٦٥، و شرح عقود الجمان، للإمام السيوطي، ص: ٨٩،

ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ"[1] فقد شبهت حال المنافقين بحال من استوقد نارا بجامع الطمع في حصول شيء بوشرت أسبابه وهيئت وسائله، ثم تلا ذلك الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب وتقويض أركانها رأسا إلى عقب.[2]

وقول لبيد بن ربيعة العامري:

والمرء إلا كالشهاب وضوئه * يوافي تمام الشهر ثم يغيب[3]

فجعل الشاعر وجه الشبه صورة متنزعة من متعدد، لأنه يريد أن يوضح سرعة الخفاء التي وجدت من أحوال القمر المتعددة، لأنه في البداية يبدو هلالاً ثم يصير بدرا، ثم ينقص حتى يمحق، فكذلك المرء يبدأ بمرحلة الطفولة...الخ.

غير تمثيل: وهو ماكان وجه الشبه فيه منتزعا من مفرد، أو خلاف التمثيل، نحو: فلان كالسيف في المضاء، وقول البحتري:

هو بحر السماح والجود فازدد * منه قربا تزدد من الفقر بعدا[4]

فالشاعر عقد التشبيه بين ممدوحه والبحر، وجعل الصفة المشتركة بينهما صورة مفردة ألا وهي الجود.

وللتشبيه باعتبار الأداة ووجه الشبه قسم واحد وهو البليغ.

---

[1]- البقرة: الآية: ١٧.

[2]- أحمد مصطفي المراغي، المرجع السابق ص: ١٩٦.

[3]- أبو منصور الثعالبي، لباب الآداب، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. ص: ١٣١.

[4]- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص: ٦٣.

التشبيه البليغ: وهو ما ذكر الطرفان وحذفت أداته ووجه الشبه. نحو: فلان أسد، ومنه قول الشاعر:

فالأرض يا قوتة لؤلؤة * والنبت فَيْرُوزج والماءبلوّز

وقول شاعر:

طلعن بدورا وانتقبن أهله * ومسن غصونا والتفتن جاذرا

فاقضوا مآربكم عجالا إنما * أعماركم سفر من الأسفار[1]

التشبيه الضمني: والتشبيه الضمني لايصرح فيه بأركان التشبيه على الطريقة المعلومة، بل يفهم معناه من سياق الكلام،[2] وغالبا ما يكون المشبه به في التشبيه الضمني برهانا وتعليلا للمشبه، ومن أمثلة هذا التشبيه قول الشاعر:

فإن تفق الأنام وأنت منهم * فإن المسك بعض دم الغزال[3]

وهذا النوع من التشبيه يفيد أن ما أسند إلى المشبه ممكن تصوره ووقوعه.

التشبيه المقلوب: وهو جعل المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، وذلك كقوله تعالى حكاية عن الكفار: " ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾"[4] في مقام أن الربا مثل البيع، عكسوا ذلك لظن أن الربا عندهم أحل من البيع، لأن

---

[1]- أنظر: أحمد مصطفي المراغي، المرجع السابق ص: ١٩٦.

[2]- محمد طاهر اللادقي، المبسط في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م -١٤٣٠هـ ص: ١٤٩

[3]-

[4]- سورة البقرة، ٢٧٥.

القرض الربح، وهو أثبت وجودا في الربا منه في البيع، فيكون أحق بالحل على حد زعمهم"[1]

أغراض التشبيه:

يقصد بأغراض التشبيه، الهدف أو الفائدة أو الغاية التي من أجلها يعقد المتكلم التشبيه في كلامه،[2] والتي يريد إيصالها إلى المتلقي عندما يستخدم أسلوبه.

وفائدة التشبيه الكبرى، البيان والإيضاح، فإنه يخرج المبهم إلى الإيضاح، والمتلبس إلى البيان، ويكسوه حلة الظهور بعد خفائه، والبروز بعد استتاره، وهذا كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[3] إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ.. يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ...﴾ فهاتان الآيتان وردتا مثالا وتشبيها بحال أهل النفاق، وإيضاحا وبيانا لأمرهم، فيما ظهر لهم من النور التام بالرسول ﷺ، وإعراضهم عنه، فشبه حالهم في ذلك بالمستوقد للنار، وبالصيب الذي فيه الرعد والبرق، كشفا لحالهم في النفاق، وإظهارا لأمرهم فيه، فنظام هذه الآية وسياقها دال على نهاية الإيضاح بالتشبيه.[4]

---

[1]- أيمن أمين عبدالغني، المرجع السابق، ص: ٥٩.
[2]- الدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود، المرجع السابق ، ص: ٢٠.
[3]- البقرة: ١٧- ٢٠.
[4]- السيد الإمام يحيى العلوي، الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م.

ومنه قوله–عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم– "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" يعنى في قطع العلائق، وخفة الحال، فإن الغريب لا علاقة له في بلاد الغربة، وابن السبيل لا لبث له إلا مقدار العبور وقطع المسافة، فهذا المعنى قد أظهره التشبيه نهاية الظهور وأوضح حاله.

ولما كان للتشبيه تأثير كبير في النفس ما ليس لغيره فقد جعل البيانيون يستقصون أغراضه، عن طريق الاستقراء، فوجدوا أن أغراضه غالبا تعود إلى المشبه، وقليلها تعود إلى المشبه به. ومن الأغراض العائدة على المشبه:

١- بيان إمكان المشبه: إذا كان أمرا غريبا لايمكن فهمه وتصوره، فيؤتى بالمشبه به ليثبت هذا الإمكان ويبرهن عليه. كقول البحتري:

دنوت تواضعا وعلوت مجدا * فشأنك الانحدار والارتفاع

كذاك الشمس تبعد أن تسامى* ويدنو الضوء منها والشعاع[٢١]

٢- بيان حال المشبه وتوضيح صفته: إذا كان مجهولا أو في حكم المجهول قبل التشبيه كقول البوصيري:[٣]

والنفس كالطفل إن تهمله شب على * حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

٣- بيان مقدار حاله في القوة والضعف: إذا كان معروف الصفة قبل التشبيه: فيه يعرف مقدار نصيبه كقول الأعشى:

---

[١]- أنظر: أحمد مصطفي المراغي، المرجع السابق، ص: ١٩٧.

[٢]-أبو منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي، كتاب خاص الخاص، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص: ١٢٢.

[٣]- أ.د. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ط٢، الأردن: دار النفائس، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٩م، ص: ١٣٤.

كأن مشيتها من بيت جارتها * مر السحابة لاريث ولا عجل[1]

٤- تقدير حال المشبه متى تتضح صورته في النفس، ويثبت في القلب ثبوتا يصل بك إلى اليقين، ويكثر هذا في تشبيه الأمور المعنوية بأخرى تدرك بالحس كقوله تعالى:

"مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا".[2]

٥- تزين المشبه وتحسين حاله ليرغب فيه، كقوله تعالى في وصف نساء الجنة: "كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ"[3] وكقول ذي الرمّة:

كحلاء في برج صفراء في نعج * كأنها فضة قد مسها ذهب[4]

٦- تقبيح حاله: وذلك إذا كان المشبه قبيحا أو اعتباريا، فيوتي له بمشبه به أقبح منه، يولد في النفس صورة قبيحة عن المشبه تنفر النفس عنه، كقول أعرابي في ذم امرأته:

وتفتح-لا كانت- فمًا لو رأيته * توهمته بابا من النار يفتح[5]

وهذا الغرض أكثر ما يستعمل في الهجاء والسخرية، والتهكم ووصف ما تنفر منه النفس.

الأغراض العائدة على المشبه به:

[1]- الشربيني، شريدة، جواهر الشعر، المرجع السابق، ص: ٥١.
[2]- سورة العنكبوت: الآية: ٤١.
[3]- سورة الرحمن: الآية: ٥٨.
[4]- الشربيني، شريدة، جواهر الشعر، المرجع السابق، ص: ٤٤٣.
[5]- الأندلسي، ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، ١.

وذلك يكون غالبا في التشبيه المقلوب أو المعكوس، ومن أبراز أغراضه ما يلي:-

١- شدة المبالغة وإيهام أن المشبه أقوى وأظهر وأتم من المشبه به في وجه الشبه، كقوله تعالى حكاية عن مستحلى الربا: "ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ"[١] إن مقتضى الظاهر أن يقال: إنما الربا مثل البيع لكنهم خالفوا ذلك ذهابا منهم إلى جعل الربا في الحل أقوى حالا من البيع.

٢- بيان شدة الحاجة إلى المشبه به، كتشبيه فم الجائع القمر في استدارته وإشراقه لرغيف للتنبيه على شدة حاجته إلى الرغيف، وذلك تنبيها إلى شدة حاجته للرغيف والشواء، ويسمى هذا الغرض بإظهار المطلوب، وهو لا يحسن إلا في مقام الطمع في حصول الشيء الذي جعله مشبها به.[٢]

٢- بلاغة التشبيه:

التشبيه مبحث من مباحث علم البيان يأتيه الكتاب والشعراء والبلغاء لنشر قرائحهم ومواهبهم، وهو العلامة الظاهرة التي تميز العقل الخصب لدى الأديب من غيره، حيث إنه يظهر مقدرة الأديب في الإبداع والخلق، كما يبين مدى سعة خياله وعمق تفكيره، وهو أيضا يمنح الأديب إمكانية تمثيل المعاني والتعبير عنها بهيئة وصورة جيدة وممتازة.

---

[١]- سورة البقرة: الآية: ٢٧٥

[٢]- الإمام عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: ٥٧.

ثم إن التشبيه يعطيك المعنى في صورة موجزة بلفظ موجز، انظر إلى قول الله تعالى في وصف الدنيا الفانية. (وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا).[1]

فالدنيا تشبه في زهرتها وسرعة زوالها بالماء المنزل من السماء فاختلف به نبات الأرض فاختلط بعضه ببعض وتكاثف بسبب الماء "فأصبح هشيما" يابسا متكسرا "تذروه الرياح" وتطيره، والله تعالى قادر على الإفناء والإنشاء.

شبه حال الدنيا في قصرها وسرعة زوالها بالماء الذي نزل من السماء، فارتوت به الأرض، وأنبتت ألوانا من الزروع والثمار، ولكن سرعان ما يذبل هذا النبات ويصير هشيما متفتتا تذهب به الريح".[2]

وعلاوة على هذا، فإنه يؤدي معنى المبالغة في الوصف، كما يخرج الخفي المدفون إلى الجلي الظاهر، والمعقول إلى المحسوس، وفي الوقت ذاته يجعل لك التافه نفيسا والعكس، كما يجعل لك البعيد قريبا، ثم يكسو المعنى نوعا من التأكيد والوضوح حتى يثبت في النفس ويتصف بالروعة والجمال والجلال.[3]

وقد عبر بعض البيانيين عن مكانة التشبيه وأهميته فقال أبو هلال العسكري: التشبيه يزيد المعنى وضوحا، ويكسيه تأكيدا، ولهذا أطبق جميع

---

[1]- سورة الكهف: الآية: ٤٥.
[2]- محمد متولى الشعراوي، تفسير المتولى، بدون معلومات النشر، ص: ٨٩٢٢.
[3]- السيد أحمد الهاشمي، المرجع السابق ص: ٢٨٧.

المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه، وقد جاء عن القدماء، وأهل الجاهلية ما يستدل به على شرفه، وموقعه من البلاغة[1] وقال قدامة بن جعفر:[2] التشبيه من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وكلما كان المشبه منهم في تشبيه ألطف كان بالشعر أعرف، وكلما كان بالمعنى أسبق كان بالحذق أليق ويقول الشيخ عبدالقاهر الجرجاني، وهو يدفع من شأن التشبيه ومكانته: فالتمثيل يكسو المعاني أبهة، ويكسبها منقبة، ويرفع من أقدارها، ويشب من نارها، ويستثير لها من أقاصى الأفئدة صبابة، وكلفا ومحبة وشغفا".[3]

وابن رشيق القيرواني يصرح بأن أشد ما تكلفه الشاعر صعوبة التشبيه، لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء العيان.[4]

وقد أحسن الجرجاني وأبدع عندما أشار إلى تأثير التشبيه وسحره في مختلف الأغراض، حيث قال: "...فإن كان التشبيه مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس أعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح أغلب على الممتدح... وللتشبيت ذلك اقرأ قوله تعالى: " وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ..."[5] إن كان ذما كان مسه أوجه وميسمه ألدغ، ووقعه أشد، وحده أحد، اقرأ قوله تبارك وتعالى في وصف رجل من بني إسرائيل:

---

[1]- الدكتور عبدالعزيز عتيق، المرجع السابق، ص: ٩٤.
[2]- قدامة بن جعفر، المرجع السابق، ص: ٣٧.
[3]- الجرجاني، أسرار البلاغة، المرجع السابق، ص ٥٣.
[4]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص: ٢٥٢.
[5]- سورة الفتح: الآية (٢٩):

(وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَث أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ)[1]

فهذا الرجل بعد أن أكرمه الله تعالى بالآيات انسلخ منها انسلاخ الجلد من الشاة بعد أن كان الجلد محيطا به، "فمثله الكلب... يلهث" فشبه حاله التي هي مثل في السوء بحال أخس الحيوانات وأسفلها، وهي حالة الكلب في دوام لهثه في حالتي التعب والراحة".[2]

وإن كان الكلب أحسن حالة من الإنسان إذ الكلب مفطور بغريزته على اللهث، والإنسان مفطور على الخبز، وميز الله غرائزه بمنهج عقلي تحركه على ما كان يصح له أن يفعل ذلك.

ووجه الشبه بينهما أن الإنسان الذي لا يتبع منهج الله يكون مضطرب الحركة في الحياة، حتى وإن كان في نعمة؛ لأنه معزول عن الله، وما دام معزولا عن الله تجده دائم التساؤل: أيدوم لي هذا النعيم أو لا يدوم، ويعيش دائما في قلق ورعب مخافة أن يفوت النعيم، أو لا يدوم له النعيم، كالكلب يلهث حال راحته، ويلهث حال تعبه، "ذلك مثل القوم الذين كذبوا..."[3]

ثم اقرأ قول الشاعر:

وتفتح –لا كانت–فما لو رأيته * توهمته بابامن النار يفتح[4]

---

[1]- سورة الأعراف: الآية: ١٧٥-١٧٦.

[2]- عبدالقاهر الجرجاني (الشيخ) أسرار البلاغة، ص: ٦٤، وانظر أيضا: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، ١٤٠٢هـ ١٩٨١م، ص: ٤٨٢.

[3]- محمد متولى الشعراوي، تفسير المتبولي، بدون معلومات النشر،

[4]- بسيوني عبدالفتاح، المرجع السابق، ص: ٩٤.

وإن كان وعظا كان أشفي للصدر، وأدعى للفكر، وأبلغ في التشبيه والزجر... وهكذا الحكم إذا استعصيت فنون القول وضروبه".[1]

"وإذا كان الخيال ركنا أساسيا من العمل الأدبي، فإنه لايفقد مكانته في التشبيه، حيث إنه الجزء والجانب القوي في إظهار قوة التشبيه في البلاغة العربية، لأنه كلما كان التشبيه يحمل خيالا بارعا كان أوقع في النفس، وأجلى للمعنى، وأكمل في الروعة والجمال".

"فالتشبيه عامة يعمل عمل السحر في تأليف المتباين حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشئم والمعرق، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص المائلة، والأشباح العائمة، وينطق لك الأخرص، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين، كما يقال هو حياة لأوليائه، وموت لأعدائه، ويجعل الشيء من جهة ماء ومن أخرى نار، كقول أبي الحسن بن مقلة:

أنا نار في مرتقي نظر الحا * سد ماء جار مع الإخوان

"وغاية ما في الأمر، وخلاصته، إن التشبيه له مكانة عظيمة في البيان حيث يعمل في استخراج الغامض إلى الواضح، والمجهول إلى المعلوم، والبعيد إلى القريب بل ويوجد الأضداد".[2]

والأدباء عامة، والشعراء خاصة ليسوا على مراتب سوية من القوة والجودة والوضوح والقرب- في استمداد الصور التشبيهية وصياغتها، وإنما تتفاوت تفاوتا شديدا، منها الخفي والأخفي الذي لايرى إلا ببصيرة حادة

[1]- عبدالقاهر ا لجرجاني، (الشيخ) أسرار البلاغة، ص: ٥١٧.
[2]- عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، قرى الضيف، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٩٩٧م، ج٣، ص: ١٣٣

وفكر دقيق، ولا يحسبها إلا نفس واعية سليمة الشعور، وعلى هذا تتفاوت درجة الشعراء في مدى إدراك تلك الصور والعلاقات، والارتباطات، فيأتوا بها في شعرهم،وذلك الذي يشير إليه الجرجاني في تعليقه للتشبيه والتمثيل من حيث الغرابة وعدمها، ويعلل بعض أوجه الغرابة في التشبيهات المستمدة من الأشياء الواضحة القريبة التي سموها (التشبيهات المبتذلة)، وهي المستمدة من الأشياء التي يكثر ورودها على العيون، ويدركها الحواس في كل لحظة أو أغلبها، ويصل إليها حتى الرجل العامي،ويدوم ترددها في مواضع الأبصار".[1]

[1]- أ.د. فضل حسن عباس، المرجع السابق، ص: ١٤٢.

المبحث الثاني: صور التشبيه في الديوان

والتشبيه وسيلة كبرى لإيصال المعلومات بين المتلقي والفنان، إذ به يوضح الفنان شعوره نحو شيء ما حتى يصبح واضحا وضوحا وجدانيا، وحتى يحس السامع بما أحس المتكلم به، فالقيمة الفنية الحقيقية للتشبيه لا تتمثل في نفاسة عناصره، ولكن تتمثل في قدرته الحقيقية على التصوير والتأثير في نفس المتلقي، وهذه الخاصية من أهم خصائص التشبيه في القرآن الكريم.[1]

والتشبيه عامة أسلوب كثير التناول في كلام العرب شعره ونثره، حتى لو قال قائل: "هو أكثر كلام العرب لم يبعد"[2] فلا بأس إذًا أن يعنى به الشاعر، ويكون أكثر ورودًا من غيره من الأساليب البيانية في الإنتاج المدروس، حتى ورد نحو خمس وأربعين مرة، فلا تستكثرها، فإنه هو بحر البلاغة، وأبو عذرتها، وسرها، ولبابها، وإنسان مقلتها".[3]

ومما وظفه الشاعر من الصور التشبيهية قوله- وهو يمدح الشيخ المختار الكنتي-رحمه الله تعالى- وجماعته، على ما تحلوا به من أخلاق إيجابية، وطلب مرضاة الله تعالى، والتسامح فيهما بينهم:

وَهُمْ خَنِسٌ فَالزُّهْدُ فِيهِم سَجِيَّةٌ * وَلَمْ يَخْفَ ذَا إِلاَّ لِمَن قَدْ تَأَلَّدَا

وَمَنْ هُوَ شَادٌ شُدوهُمْ فَهْوَ فَائِزٌ * وَمَنْ يَعْشُ عَنْهُمْ فَهْوَ فِي الْقَذْرِ كَالْخِدَا[4]

عمد الشاعر إلى تعداد محاسن القوم، وما اتصفوا به من الأخلاق الإسلامية السامية، والرياضات الدينية الناصية، ولا يتجاهلها إلا المعاند

---

[1]- محمد أحمد أبوبكر أبو حامد البلاغة الأسلوبية، تصوير الموت في القرآن الكريم نموذجا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ص: ١٧٣.

[2]- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، شركة القدس، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م ص: ٥٤٨.

[3]- السيد يحي العلوي، المرجع السابق، ص: ١٥٥.

[4]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٥٢

المكابر، ثم بدا محرضا مبشرا من حذا حذوها بالفوز والنجاة، ومعاتبا من أعرض عنهم على أنه ليس بشيء، بل هو ذليل مجتنب غير معاشر، كالدود التي تختار أن تعيش بين القاذورات المنتنة، فإنها تكون بعيدة عن الناس كريهة عندهم.

وقد عقد الشاعر في البيت الثاني تشبيها مفردا بين أمرين: المشبه الذي هو كل من مال عن الحق إلى غيره، والمشبه به وهو "الخدا" ثم ذكر أداة التشبيه وهي "الكاف" ووجه الشبه "القذارة" فاكتملت في هذا التشبيه أركان التشبيه الأربعة، لأن الشاعر لاحظ أن هذه الصورة تستدعى الإتيان بهذه الأركان ليتضح للقارئ أو السامع المراد من إلقاء التشبيه. والغرض البياني من هذا التشبيه بيان حال المشبه.

ومع أن ذكر أركان التشبيه مما يقلل قيمة التشبيه تارة، إلا أن الشاعر هنا فصل تشبيهه، وذلك مما زاد من قيمة التشبيه إذ استطاع أن يؤكد المعنى الذي يريد إيصاله إلى المتلقي، ويدفع تخيلات العقل وتوهماته، ولو أنه لم يقم بذكر هذه الأركان لكان فيه نوع من التفريط في إيضاح الدلالة، ولترك المجال للعقل في أن يتخيل أشياء لم يردها الشاعر، أو يقصد في فهم المراد، وقد أطلق البلاغيون على مثل هذا التشبيه اسم التشبيه المفصل المرسل.

والتشبيهات التي وردت مكتملة الأركان في الديوان قليلة.

ومن التشبيهات الطريفة التي وظفها الشاعر خلال قصيدته الرائية ما يقوله في تصوير أسماء الباري جل وعلا.[1]

أناديك يا مولاي في السر والجهر* بأسمائك الحسنى السنية كالدر

[1]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق،ص: ٧.

وبالمصطفي الهادي الرشيد مُحَمَّد * وأصحابه والآل والتابع الغر
وبالأنبيا والرسل والملك الرضى * وبالأوليا والصالحين أولى الأمر

انكسر الشاعر وتذلل أمام حضرة ربه تبارك وتعالى، حينما تحطمت آماله يتضرع إليه، ويدعوه في السر والعلن دعوة عبد خائف راج متوسلا إليه تعالى أولا بأسمائه الحسنى التي لا يماثلها اسم من الأسماء امتثالا لقوله تعالى: "وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا..."[1] كما توسل إليه تعالى ثانيا في كشف كربه ونيل مآربه بصفوة خلقه الهادي الرشيد مُحَمَّد ﷺ، امتثالا لقوله ﷺ : "توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم"[2] ثم ثلث بأصحابه الغر الميامين، وآله الطيبين الطاهرين، ثم باقي الأنبياء والأملاك، فالأولياء والصالحين أولى الجاه والقدر، على طريقة أهل السلوك والتصوف.

أراد الشاعر في البيت الأول أن يقرب إلى السامع أو القارئ منزلة أسماء الله تعالى ورفعتها ودرجتها وحسنها وذكائها فبحث عن شيء محسوس فلم يجد إلا الدرر التي هي اللآلي الفاخرة، ليوضح قيمة المشبه ويقدره في ذهن السامع أو القارئ، ثم حذف وجه الشبه الذي هو التلؤلؤ والحسن والضياء، والدرجة والقيمة، وميل قلوب الناس إليه، وشدة احتياجهم إليه في نيل المآرب والحاجات ، وخاصة أنه جاء في سياق التوسل، وهذا ثابت في كل من المشبه والمشبه به.

علما بأن اختيار كلمة "الدر" التي شبه بها أسماء الله الحسنى لم يأت عبثا، بل أراد أن يقول بلسان حاله إنه كما أن الناس متنافسون في البحث

[1]- سورة الأعراف: ١٨٠
[2]- أخرجه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، الحديث رقم (٢٢).

عن الأشياء الغالية الثمينة، ذات درجة وقيمة، تكون لهم وسيلة إلى التستر وقضاء الحوائج الدنيوية، فكذا الإنسان عليه أن يتوسل إليه أولاً وآخرًا بالأمور القيمة حتى يفتح له باب الإجابة، فكان هو أول من جملة امتثل هذا الأمر فتوسل إلى الخالق الصمد بأسماءه الحسنى في حل عويصاته، ونيل مآربه، وتحقيق آماله، وهذا لا شك يظهر جمالية التشبيه، ويبدو أن الشاعر موفق في اختيار المشبه به.

والسر البياني في حذف وجه الشبه يكمن في فتح باب التخيل لدى القارئ والسامع حتى تذهب نفسه وتتخيل أن المشبه والمشبه به يتحدان في جهات كثيرة، مع أن المقصود اجتماعهما في صفة واحدة وفي هذه إفادة لقوة المبالغة.

وقد أسهم التشبيه بدور كبير في تصور انطباع الشاعر وانفعاله فجاء موضحا لكثير من الأشياء والمواقف، وأكثر في الجمع بين طرفي التشبيه بالوقع النفسي الذي يتركه في نفس المتلقي، ويظهر هذا بجلاء من خلال قصائده التي وصف فيها المعارك التي خاضها أيام الجهاد منها ما قاله في معركتهم مع أهل كنو:

إِذْ زَحَفْنَا[1] لَهُمْ وَقْتَ الضُّحَى بِجُنُودٍ كَجَرَادٍ مُنْتَشِرْ
وَكَأَنَّ الْخَيْلَ فِي أَرْجَائِهَا خِدَعٌ تَخْطَفُ أَشِلاءِ الْبَقَرْ
فَلَقِينَاهُم وَأَوْغَلْنَا بِهِم بِرِمَاحٍ وَسَهَامٍ كَالْمَطَرِ[2]

[1]- زحف العسكري إلى العدو- مشوا إليهم في ثقل لكثرتهم، والخيل: جماعة الأفراس.
[2]- أ- مير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص: ١٥.

في البيت الأول يخبر الشاعر أنهم مشوا إلى أرض العدو وقت الضحى في جماعة ثقيلة كثيرة مد البصر، ترهب الأعداء وتنزل عليهم أينما نزلوا حتى ما كان لهم من ملجإ ولا مفر.

وفي البيت الثاني يقول للمتلقى لو رأيت خيول المجاهدين والفرسان في أرض المعركة يقطعون رؤس الأعداء المتمردين بسرعة ويسر ظننت الخدء على بقايا أعضا الأبقار تدوسها وتأكل منها ما تشاء كيف تشاء.

ثم أكد المعنى في البيت الثالث بأنهم توغلوا فيهم، ودخلوا عليهم في سرعة وإمعان ورشقوهم رماحا وسهاما كثيرة متتابعة واحدة تلو الأخرى، حيث لا تخطأ السهام الهدف كالمطر الغزير الذي لا يخطأ الأرض.

أخذ الشاعر يصور صورة الأعداء الذين تولوا يوم الزحف فشبهها بالجراد المنشر في الفلاة، بواسطة أداة التشبيه "الكاف" ليوضح أنهم لايشبهون الجراد في كل جهة، إنما يشبهونها في جهة واحدة وهي سرعة الانتشار من الخوف والفزع والحيرة.

والغرض البياني من هذا التشبيه بيان مقدار قوة المشبه وبطشه، وسرعة سطوه على الأعداء، ولو أن الشاعر لم يأت بهذا التشبيه، وقال فقط: "إنا نزلنا بساحة القوم بجنود كثيرة" لترك مساحة في نفس المتلقي في فهم مراد الشاعر، لكنه بهذا التشبيه سد باب التخيلات والوهم.

وفي البيت الثاني وصف الشاعر كيف تصول خيول الغزاة على الأعداء ويصرعونهم في لحظة سريعة ويقطعون رؤسهم في سرعة فشبههم بالخدء–ذلك الطائر من الجوارح من الفصيلة الصقرية ينعصُّ على الجرذان والدواجن ونحوها– العاكف على فريسة، ولاشك أن هذه الصورة ممتعة وكافية في بيان حال كل

من المشبه والمشبه به. واستعمل الشاعر أداة "كأن" لتأكيد حال المجاهدين وتقويته.

وجمال هذا التشبيه جاء من الشعور ببراعة الشاعر وحذقه في عقد المشابهة بين سرعة سير الخيول، وقوة بطشها بالخدء حين تخطف أشلاء البقر، فأرسل وفصل لأنه ذكر الأداة ووجه الشبه مما زاد التشبيه روعة وجمالا، لأنه لو حذف الأداة لما استقام التشبيه جيدا، وخاصة أن الأداة وقعت في أول الجملة، وكذلك ذكره وجه الشبه زاده فائدة شريفة لأنه أظهر وجه المشاركة بين الخيول والخدء وهي سرعة السير وقوة البطش.

أما البيت الثالث فهو وصف الرماح والسهام بأنها كثيرة متتابعة مطاوعة حين ترمى إلى الأعداء، وهي صورة حسية تدرك بحاسة البصر، لكنها غائبة عن عيني المتلقي فبحث عن شيء محسوس فأخذ صورة المطر الغزير حين ينزل من السماء، فالمشبه شيئان وهما الرماح والسهام، والمشبه به واحد وهو المطر الغزير لأسباب منها:

"أنه يريد أن وجه التشبيه في تشبيه الرماح والمطر هو نفس وجه المماثلة في تشبيه السهام بالمطر وهو كثرة النزول بالقوة، ثم إن الإتيان بالمشبه به مفردا، فيه نوع من الإيجاز ورعاية الموسيقى والوزن الشعري.

ومثل هذا التشبيه هو الذي سماه البلاغيون بالتشبيه المتعدد وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يتعدد المشبه دون المشبه به ويُسمى تشبيه التسوية كما في قول الشاعر:

فَلَقِينَا هُم وَأَوْغَلْنَا بِهِم * بِرِمَاحٍ وَسِهَامٍ كَالْمَطَر.

النوع الثاني: أن يتعدد الطرفان، إما بتكرار الطرفين أو بتقدير المشبه ويسمى هذا النوع بالتشبيه الملفوف والمفروق، ومنه قول الشاعر مُحَمَّد بلو:

هَذَا إِلَيْكَ رِسَالَةٌ وَتَحِيَّةٌ * مِثْلُ النُّجُومِ وَالثُّرَى وَالْوَرْمَكَا[1]

فالشاعر هنا يبلغ رسالة العاشق المشتاق إلى محبوبه وهو النبيϑ رسالة تحمل في طياتها كلمات الكرم والتبجيل، وتحية طيبة، فشبه هذه الرسالة والتحية بالنجوم في الرفعة والضياء، وعلو المنزلة والدرجة، فكأن الشاعر لم تقنع نفسه بهذا التشبيه فجاء بمشبه به آخر يساعده في إثبات ما يريد، فبحث فلم يجد إلا الثريا التي هي فوق النجم ضياء ومكانا فشبه الرسالة والتحية به، ولم تطمئن نفسه إلى هذا الحد، فنظر إلى قاموسه ليجد كلمة تفي بمطلوبه، ويشعر في قرار نفسه أنه وصل إلى حد في إبلاغ الرسالة والتحية إلى المحبوب ϑ، فلم يجد إلا أن يطلق كلمة "الورمك" التي تدل على إبلاغ كل شيء منتهاه فختم بها البيت.

ولما كانت الرسالة والتحية شيء معقول بحث عن شيء محسوس تألفته النفس، وارتضى به القلب، فلم يجد إلا النجوم اللامعة البراقة في وسط ظلمة الليل، فشبه بها الكلمات والحروف التي هي أثر الأصوات المنطوقة وشبهها بالثريا في التلألؤ والرفعة والضياء، ثم أطلق كلمة الورمك التي تعني بلوغ كل شيء أقصاه، فعل ذلك كله بغية إظهار المعقول، فذكر أداة التشبيه وحذف الوجه الجامع بينهما الذي هو ظهور أشياء مشرقة ملتمعة رفيعة ومحبوبة إلى الكل، ليترك القارئ والسامع يبحثان عن أكثر من وجه لاستكمال هذه

[1]- أمير المؤمنين، المصدر السابق ص: ٩١

الصورة. ألا ترى أن النفس تذهب كل مذهب لاصطياد أكثر من وجه تستكمل به هذه الصورة، وتشارك الشاعر فيما يشعر به.

ومثل هذا التشبيه يطلق عليه البلاغيون اسم التشبيه المرسل، لأنه ذكر الأداة "مثل" ومجمل لأنه حذف وجه الشبه.

وإن اختيار كلمة "التحية" بدلا من "السلام" دلالة واضحة على المبالغة والشمول فيما يرجوه الشاعر للممدوح من حياة طيبة ودوام السلام، وخير باق، وكأنه قال: حياك الله يا خير البشر" ولقيت العز والسلامة من الآفات وغير ذلك مما يحمله مدلول الكلمة.[1]

والغرض البياني من هذا التشبيه تقدير حال المشبه وتوضيح صورته في النفس، ليثبته ثبوتا يصل بالمتلقي إلى اليقين، لأنه لو لم يذكر المشبه به فلا يكون لازما على المتلقى فهم كنه المشبه ورفعته ودرجته، ولا شك أن هذا التشبيه أدى غرضه المنشود.

النوع الثالث: أن يتعدد المشبه به دون المشبه، وقد وظف الشاعر مُحَمَّد بلو مثل هذا التشبيه في بعض قصائده، ومن ذلك ما يقوله في معرض وصف جنود المسلمين حيث يقول:

فِتْيَانُ صِدْقٍ غَدَاةَ الرَّوْعِ تَلْقَهُمُ أُسْدًا بِعَثَّرَ أَوْ مِنْ جِنَّةِ الْغُولِ[2]

استطاع الشاعر أن يمدح جماعته، ويزيل الشك والريب عن قلب من يحقر شأنهم، أو يجهل حقيقة أمرهم، ويقول له: هؤلاء الفتيان صادقون النية عاملون، ليسوا كالذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وسيمة ذلك يوم الروع، والفزع يوم لقاء العدو، حيث تلقى الواحد منهم خائض، وخطير، لا

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٦١هـ/٢٠٠٠م. ص: ٢٥٧.
[2]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٢٠.

يذعر ولا يولى الدبر، شجاع مخوف كالأسد قوة وبسالة أو عابس كريه المنظر كالغول.

إن الشاعر يشبه جنود المسلمين أولا بالأسد في الشجاعة والإقدام وقوة البطش، وإفزاع العدو، وشبههم ثانيا بجنة الغول في الشجاعة ، وإدخال الرعب في القلوب، وجعل المشبه به حالا عن أداة التشبيه، وحذف وجه الشبه، ليطلق الصورة، ويشمل جميع معالم القوة، لدلالة اللفظ عليه، ودعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به، على طريق التشبيه البليغ.

وقد أعمل الشاعر الخيال في تشبيه الفتيان بحيوان لا وجود له في الواقع، وهو تشبيه الفتيان "بالغول" فإن الغول حيوان ليس له وجود خارجي محسوس، وإنما هو اختراع من اختراعات العقل الخائف. إن مثل هذا التشبيه الذي يخترعه العقل دون أن يكون له كيان خارجي يدعى في علم التشبيه بالتشبيه الوهمي.[1]

ويأتي جمال التشبيه حين غابت أداة التشبيه التي تفصل بين المشبه والمشبه به، ويجعل كلا منهما عنصرا واحدا مستقلا، كما اتسع أفق الصورة الفنية حين غاب وجه الشبه، فشمل كل ما يخطر ببال الأديب اللبيب.

والغرض البياني من هذا التشبيه بيان حال فتيان المسلمين من القوة والشجاعة، وتقرير ذلك في نفس السامع والقارئ .

وقد أبدى الشاعر موهبة شعرية وتجربته في الحياة فصور هذه الدنيا الخلابة بقوله:

ولَمَ تَزَلِ الدُّنْيَا تُرِيكَ تَقَلُّبًا بِأَضْدَادِ أَيَّامٍ بَدَتْ بِمُتَاحِ

[1]- الدكتور بكري أمين، البلاغة في ثوبها الجديد، ط٣، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٩٥م، ص: ١٨.

تُرِيكَ اجْتِمَاعًا ثُمَّ تَأْتِي بِفُرْقَةٍ كَجَمْعِ مِنىً صُدُورًا بِيَوْمِ مُرَاحِ[1]

أنت لا تزال مادمت في الدنيا تشاهد طبيعتها تصفو وتكدر، تسر وتحزن، وقد تعرف الرجل شابا يافعًا، فإذا هو شيخ عجوز متوكعا على العصا، شيبه الدهر، وعرفه بناته، أو تعرفه سيدا مطاعا، فإذا هو عبد مأمور، أو فقيرا يائسا، فإذا هو غني ثري، وهكذا تريك شيئا وضده إلى الأبد لن تتغير، ولا تطلب لها بديلا فتكون كما قال شاعر:

ومكلف الأيام ضد طباعها * متطلب في الماء جذوة نار

ووضح كلامه بصورة تعكس للقارئ وتزيده جلاء ألا وهو مع الناس في منى أيام الحج، يأتي الناس مثنى وفرادى من كل فج عميق، وفي لحظة وجيزة تنعقد المودة، وسرعان تفترق الجماعة ويذهب كل واحد إلى وطنه ومسكنه.

فالشاعر في البيت الثاني عقد تشبيها بين سرعة زوال الدنيا وعدم استقرارها بجمع الناس في منى وسرعة تفرقه، بواسطة أداة التشبيه "الكاف" لأن المقام يستدعى ذكر هذا الحرف، ليدل على أن وجه الشبه ليس شيئا متعددا، إنما هو شيء واحد وهو عدم الاستقرار، وسرعة الزوال، وهذا التشبيه مرسل ومجمل، مرسل لأنه ذكر الأداة، ومجمل لأنه حذف وجه الشبه.[2]

---

[1]- أمير المؤمنين محمد بلّو، المصدر السابق، ص: ٤١

[2]- وعند التأمل إلى البيتين تجد أن بيتي محمد بلو أوجز وأبلغ من قول الشاعر:

وقع الشوائب شيب * والدهر بالناس قلب
إن دان يوما لشخص * ففي غد يتقلب
واصبر إذا هو أضرى* بك الخطوب وألب
فما على التبر عار * في النار حين يقلب

أما وجه كونه أوجز فلأنه اختصر المعنى في بيتين، فشفي وأروى، ووجه كونه أبلغ لأنه أضاف صورة محسوسة تقرب المعنى إلى ذهن المتلقى، ويدركها بحاسة البصر، ولا يكلفه تفكرا عميقا في فهم المراد.

ولم يكن أيضا مراد الشاعر أن يعقد تشبيها بين سرعة زوال الدنيا وعدم استقرارها ودوامها على حال بجمع الناس في منى فحسب، بل أراد أن يذكر الإنسان بالموت والحشر فيستعد لذلك اليوم.

والغرض البياني من هذا التشبيه بيان حال الدنيا وتقريب أحوالها لمن يتجاهل حقيقتها ليرغب الغافل عنها فلا يركن إليها كليا، ويذكر المبصر عن سرعة زوالها فيصبر على محنها. ومن هذا النوع قول الشاعر:

كَمْ قَدْ كَتَمْتُ الْهَوَى لَمْ يَكْتَتِمْ فَبَدَا * كَالشَّيْبِ يُعْلَفُ بِالْحَنَّاءِ وَالْكَتَمِ[1]

يذكر الشاعر إنه كثيرا ما يحاول أن يكتتم هواه نحو محبوبه فيأبى الهوى إلا أن يظهر ويبدو واضحا جليا، كالإنسان المشيب يحاول أن يلفه بالحناء والكتم ولكن لايمكن له ذلك، فيأبى الشيب إلا الظهوركقول الشاعر:

كتمت هواك حتى عيل صبرى * وأدتنى مكاتمتى لرسمي

فلم أقدر على كتمان حال * يحول به الأسى دون التأسي

والتشبيه في البيت السابق جاء لبيان الحال على وجه التمكين، لأن الشاعر شبه هواه الذي يحاول أن يكتتم ولم يكتتم بالشيب المستور بالحناء والكتم، وعقد المماثلة بينهما بـ"لكاف" على طريق التشبيه المرسل، وحذف وجه الشبه الذي هو عدم الكتمان والستور على طريق التشبيه المجمل.

ولما كان كتمان الهوى شيء معنوى قد لاتجزم به النفس، بحث عن نظير حسي تتجلى فيه هذه الصفة وتقوى، فرأى أن الشيب المستور بالحناء كذلك، فعقد هذه المماثلة بينهما.

ولما كان مدح الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم دأب الشاعر أمير المؤمنين، وقربى يتقرب بها إلى الله تعالى، وأن المعاني محتجبة غير مكشوفة حتى يبرزها في صورة من صور التشبيه اتخذه سبيلا إلى الوفاء بمرغوبه فشبههم بالسحائب الممطرة، فقال:

[1]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٣٦.

وَمَا الأَنْبِيَا إِلاَّ سَحَائِبُ رَحْمَةٍ * تَصُوبُ وَتَهْمِي لِلْوَرَى خَيْرَ صَيِّبِ
هُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ لِلْخَلْقِ كُلِّهِم * وَنُورُ هدًى لِلْمُهْتَدِى الْمُتَرَقِّبِ[1]

فالشاعر في التشبيه الأول يرى النبي ﷺ صاحب جود وكرم، يفيض معروفه على الخلق إنسهم وجنهم مؤمنهم وكافرهم، فبحث عن وسيلة تسهل عليه تصوير هذا المعنى فلم يجد إلا أن يلجأ إلى التشبيه البليغ فشبههم بالسحائب تتألف ثم تمطر، فينصب على الأرض بدون تفريق فتحي به، فتنبت الكلأ والعُشب، فيكون متاعا للناس والدواب والأنعام، وغذاء لها، فكذا الوحي الذي تحمله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام به حياة القلوب والأرواح وغذاءها.

ولايخفي ما في هذا التشبيه البليغ من جودة وروعة في تشبيه الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأذكى التسليم- بالسحاب في بذل المعروف، وتوزيع الخيرات، وكثرة العطايا للقريب والبعيد، والسائل والمحروم. وعلاوة على ذلك فإن الشاعر لم يكتف بإطلاق لفظ "السحائب" بل قيدها "بسحائب الرحمة" لأنه فطن على أن ليس كل السحائب تأتي بالخير والصلاح، بل بعضها تحمل الشر والعذاب، ألم يقل الله تعالى حاكيا سيرة بعض الأمم لما رأوا السحائب تتجمع "فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا" فأُخْبِروا بالواقع "بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم"[2]فلأن يدفع عنك-أيها العزيز- هذا الوهم أضاف كلمة "رحمة" ليريك أن في هذا المشبه به تمام الرحمة والمنة، فأدى هذا التشبيه غرضه الأساس الذي هو إفهام وتوضيح وبيان حقيقة حال الأنبياء عليهم صلاة الله ثم سلامه.

[1]- أمير المؤمنين محمد بلّو، المصدر السابق، ص: ٤١
[2]- سورة الأحقاف: ٢٤.

ومما زاد التشبيه روعة وجمالا، استعمال الشاعر أسلوبا من أساليب القصر في توضيح المراد، وهو: الإثبات بعدى النفي، "وما الأنبياء إلا سحائب رحمة" ليدفع عن المتلقى الوهم، ويزيل عنه أدنى الشك والريب، ويجعل الصفة تعمم الموصوف، وهو ما سموه قصر الصفة على الموصوف، ومعناه ألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر أصلا، إذا كان القصر حقيقيا، أو إلى موصوف آخر إذا كان القصر إضافيا، ولايمنع هذا أن يتصف الموصوف المقصور عليه بصفات أخرى غير تلك الصفة المقصورة[1] ومن ذلك تبدو معرفة الشاعر بأسرار اللغة ومعاني الجمل، وإحاطته بعلم المعاني والبيان.

ثم أعد النظر إلى البيت الأول مرة ثانية، فإنك تزيد تعجبا من روعة التشبيه وجماله، وتأتي هذه الروعة من دعوى الاتحاد بين المشبه (الأنبياء) والمشبه به (سحائب رحمة) وإسقاط أداة التشبيه وهو "الكاف" أو نحوه "وما الأنبياء إلا كسحائب الرحمة" وحذف – أيضا- الوجه الجامع بين الطرفين الذي هو كل ما فيه نفع وحياة للورى من الخير، والمعروف والإحسان للقريب والبعيد، والسائل والمحروم، وهذا على طريق التشبيه البليغ.

ثم استدرك الشاعر على نفسه بأن الأنبياء ليسوا على درجة واحدة بل الله فضل بعضهم على بعض، فالرسول الحبيب ﷺ هو المثل الأعلى، والنموذج الأوضح في الرحمة، والعطف، والاشفاق، وجلب المنافع والخير للخلق كلهم، ودرء المفاسد عنهم، فلا عجب أن يقول المولى سبحانه فيه:

[1]- الدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود ، علم المعاني، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ص: ٢٤٩

"وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ"[1] فشبهه بالنور يهتدى به الخلق الباحث عن طريق الهداية والرشاد.

وقوله "نور هدى" تشبيه بليغ استخدمه لتصوير حقيقة مُحَمَّدية حيث جعل الرسول ﷺ عين النور بجامع الهداية في كل، لأن الرسول ﷺ كما وصفه ربه (وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)[2] وكذلك النور يهتدى به الضالون إلى الصراط المستقيم أو الصراط السوي.

وثمة تشبيه بليغ لطيف داخل التشبيه المدروس وهو تشبيه الهدى بالنور، بجامع الإرشاد في كل عن طريق التشبيه المقلوب، من حيث إضافة المشبه به إلى المشبه، ففي ذلك عنصر التقديم والتأخير، حيث قدم المشبه به وحقه التأخير، ثم أخر المشبه به وحقه التقديم، فأكسب الصورة جمالية فائقة، وأوسع الخيال في خلق المعنى وإدراك المقصود، بأن جرد كلتا الصورتين من أداة التشبيه ووجهه، ثم قدم وأخر الصورة الثانية.

ويتحقق السحر البياني من خلال وصف الممدوح ﷺبالنور بجامع البيان والإرشاد في كل من المشبه والمشبه به، فالمشبه –وهو الرسولﷺ– يبين للناس طريق النجاة والسلامة، ومناهج الاستقامة، ويرشدهم إلى أقوم حالة، والمشبه به "النور" يهدي الناس في دجى الليالي ويرشد إلى طريق السوي، فالمشبه مفرد محسوس والمشبه به أيضا مفرد محسوس، وأداة الفصل بين الطرفين محذوفة، والوجه كذلك، الأمر الذي أفاد معنى الاتحاد والإحاطة بين الطرفين.

[1]- سورة الأنبياء: الآية:١٠٧

[2]- سورة الشورى: الآية ٥٢..

والتشبيهات البليغة كثيرة الورود في ديوان الشاعر مُحَمَّد بلو ما يدل على خصب خيال الشاعر، وسُمُوه، ومدى قدرته، وقوة تفكيره في صياغة المعنى، والتعبير عنه في صورة رائعة خلابة جذّابة.

ومن الأماكن التي مدح الشاعر فيها الرسول ﷺ ما ورد في قوله:

فكل كمال للورى من كماله * وكل سنى للخلق من نور أضواه[1]

فمن خيمه القرآن وهو طريه * فكالبحر ما أحلاه خيما وأسماه[2]

يرى الشاعر ممدوحه ﷺ في هذين البيتين أنه هو أصل الحياة ومنشؤها يستمد الخلائق الخُلق الرفيع والعلم والحكمة والكمال منه، فالحبيب المصطفي ﷺ إذًا ليس له ند في الخلق كمالا، وجمالا، وسخاء وعطاء، وجودا وكرما، وعلم ومعرفة، فالأنبياء والأولياء فمن دونهم يستمدون كمالهم من كماله، بل كل الكمالات وكل الأنوار منحدرة منه فما من كامل إلا وكماله مستمد من كماله ﷺ.[3]

ولله در الشيخ مُحَمَّد الناصر كبر رحمه الله حيث يقول:

كامل لولا كمالاته * لم تكن يوما كمالات

نوره أصل الوجود * ومن نوره تلك الكيانات[4]

وزاد كلامه وضوحًا بتصريح أن القرآن الكريم ذاته منحدر من صفحة قلبه عليه الصلاة والسلام، إذ كان علم اللوح محفوظ في صدره، وهو الذي

---

[1]- ولو قال الشاعر: من نور ضوئه، لاستقام البيت أكثر.

[2]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٣٥.

[3]- والشاعر بهذا يشير إلى ماهو متعارف عند الصوفية "بالنور المحمدي" أو "الحقيقة المحمدية" وهي عندهم المخلوق الأول الذي أبدعه الله تعالى، وهو المنبع الفياض بكل خُلق كريم، كل علم إلهي، وكل وحي وهو معتقد مستنده حديث جابر الأنصاري حيث قال: "سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلق الله تعالى، قال: "هو نور نبيك ياجابر خلقه ثم خلق منه كل خير، وخلق بعده كل شيء..." أو الفيض الأول الذي فاض من كن فيكون، المشار إليه في حديث جابر الأنصاري... أول ما خلق الله نور نبيك ياجابر..." راجع، الدكتور أحمد مرتضى، قسم الدراسات الإسلامية جامعة بايرو، كنو، حديث أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر،دار الأمة- كنو، نيجيريا، ٢٠١٤م، ص: ٢٥.

[4]- كبر، محمد الناصر (الشيخ): سبحات الأنوار من سحبات الأسرار، طبعة الحاج شريف بلا غباري، (بدون معلومات النشر)، ص: ٧٤

يتلوه غضا طريا فكان الرسول ﷺ كالبحر في سعة العطاء وكثرة الخير والبركة، والجود والسخاء.

وعند التأمل ترى أن الشاعر يعقد تشبيها يصور به الممدوح في البيت الثاني ويشبهه بالبحر الذي هو مركز العطاء والجود والسخاء، فالمشبه إذا هو (الرسول ﷺ)، والمشبه به هو (البحر) وجعل أداة تشبيهه "الكاف" ليدل على أن المشابهة تكون في جهة محدودة وهو السخاء والنماء والجود والعطاء، وحذف الشاعر المعنى الجامع بين الرسول ﷺ والبحر الذي هو السعة والعمق والاحتواء على كل نفيس وجليل، وهذه الصفات واضحة حقيقة في البحر، فاستخدمها الشاعر لتقريب المعنى إلى نفس المتلقي عن طريق الخيال.

والغرض البياني من هذا التشبيه تقريب حال المشبه إلى المتلقى، وتوضيح صورته وبيان ما تحلى به المشبه من سعة جوده وعمق علمه وفكره، وغير ذلك من الأخلاق الإيجابية.

وقال أيضا في قصيدة غزلية يصور فيها حسن اللقاء بالمحبوبة وأيام وصلها:[1]

كَأَنَّ لَيَالِي الدَّهْر أَيَّامَ وَصْلِهَا وحُسْنُ لِقَاهَا كُلُّهَا لَيْلَةُ الْعِيدِ

تُزَيِّنُ بِالتَّعْطِيلِ مِنْ كُلِّ زِينَةٍ وَحُسْنُ سِوَاهَا بِالْخَمَائِلِ وَالسُّودِ[2]

فالشاعر يخبر بأن له محبوبة فريدة من نوعها، ممتازة في صفاتها، تختلف كل الاختلاف عن محبوبة أحبها كل محب، إذا كانت محبوبات الأدباء يتزينن بأنواع الحلى والزينة ليكملن بها حسنهن، ويبرزن بها جمالهن، فهذه المحبوبة غنية

[1]- ويكشف الجمال البيان –أيضا- مدى تأثر الشاعر بمشاهير شعراء العرب عموما وشعراء الغزل خصوصا، إلا أن غزله صوفيا يمتاز بالحب الإلهي ومحبة صادقة للواحد الفرد الصمد، وهي القصيدة اليتيمة التي وردت في الديوان من هذا النوع، كما يكشف مقدرة الشاعر البيانية في استخدام الصورة الرائعة للتعبير عن مشاعره نحو محبوبه سبحانه وتعالى.

[2]-أمير المؤمنين محمد بلّو، المصدر السابق، ص: ٤١

عن كل ألوان الزينة، فهي تتزين عن طريق التبعد عن أنواع الزينة، فالتخلى عن الزينة هو زيُّها وزينَتُها، وليس لها مثال، وليست المحبوبات مثلها، فأيام اتصاله بها هي ليالي عيده، وسروره وحبوره، وأوقات لقائه بها أطيب أوقاته.

فالشاعر شبه سروره وفرحه أيام لقائه بمحبوبته بليلة العيد بجامع الحسن والسرور والحبور الذي يغشى المرء في كل، وذكر الوجه هنا زاد التشبيه قيمة ودرجة، لأنه لو لم يذكر الوجه لاختار النفس وجها لربما دون "ليلة العيد" في انتهاء إلى المراد، والنفس ليست بحاجة إلى أكثر من ليلة العيد في بيان الفرح، وإظهار السرور والتشوق البليغ.

ويأتي جمال التشبيه في أن الشاعر استطاع أن يرسم صورة بارزة في نفس المتلقي وينقل المعنى المعقول إلى ماكان محسوسا مألوفا للنفس، وثابتا في القلب عن طريق ذكر وجه الشبه وأداة التشبيه، "كأن" للدلالة على توكيد المشابهة بين أيام اتصاله ولقائه بمحبوبته بليلة العيد.

والسر البياني من ذلك بيان مدى ماكان يغمر الشاعر من الشوق والسرور عند لقاء المحبوبة، فليلة العيد يشتاق إليها الإنسان، فيعد لها كل المعدات، حتى إذا جاءه يحيط به السرور من كل جانب، ويبدو أن الشاعر مصيب في اختيار هذا المشبه به.

من صور التشبيه التمثيل في الديوان:

وقد أكثر الشاعر في توظيف التشبيهات التمثيلية في وصف بعض المعارك التي خاضها أيام الجهاد، ومن ذلك ما ورد في تصوير قتلى أهل مدينة

كنو في تلك المعركة التي كان النصر حليف جيش المجاهدين، وذلك حيث يقول:

قد تركنا هم بها مثل الهبا * أوكأحطام هشيم المحتظر[1]

يقول الشاعر إنه دارت الحرب بيننا و بين أهل كنو برهة من الزمن، فكان النصر بجانبنا، فقلنا هم شر قتلة وتركناهم صرعى متفتتينن، مبثوثين هنا وهناك كالغبار المنثور، أو الأعشاب الناشفة، والأعود الجافة حين تيبس وتتحطم وتصبح هشيما تذروح الرياح.

فالصورة ترتسم في ذهن المتلقي عند ما يتخيل "هشيم المحتظر" وهي أحطام تتساقط وتذروها الأرياح في النواحي، فهذه الصورة تحاكي صورة القتيل الصريع عندما تحمله الأيدي فتتساقط منه فتاته وتتدلى يداه ورجلاه وتحرك الريح بعض مفاصله، فصور قتلى كنو قريبة من هذه الصورة.

وقد استطاع الشاعر بعبقريته الفذة أن ينقل إليك صورة المشهد المفجع المفزع الغائب عن عينك ويجعلك تحس به، فلذا عقد تشبيها بين صورة الغبار المتجمع في الكوة يبدو في ضوء الشمس، يراه الناظر من بعيد أنه حقيقة نافعة لنفسها أو لغيرها، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، بصورة قتلى أهل مدينة كنو فهم جماعة كثيرة يتوهم من لايعرف حقيقة أمرهم أنهم رجال فإذا ميزانهم خفيف لا يُقدر بشيء، فهو يكني بهذه الصورة عن ضعف أهل كنو حين دارت المعركة بينهما.

وحينما لم يحس أنه بالغ في توضيح الصورة أتى بصورة أخرى توضح حال أولئك المتمردين، ألا وهي صورة يابس الشجر إذا بلي وتحطم وداسته

[1]- أمير المؤمنين محمد بلّو، المصدر السابق، ص: ١٥

الأقدام فصار هشيما متفتتا، فصورة أحطام هشيم المحتظر قريبة من صورة هؤلاء الصرعى بعد القتال.

فقد تعاقدت المماثلة عن طريق ذكر الرابطة "مثل" في التشبيه الأول، والمشبه الذي هو صرعى الأعداء والمشبه به الهبا "الغبار المنثور".والكاف في الطرف الثاني من التشبيه هو الرابطة التي تم عقد التشبيه بها، والمشبه — أيضا– هو صرعى الأعداء، والمشبه به صورة أحطام هشيم المحتظر، وحذف الوجه الجامع بينهما في كلا التشبيهين، الذي هو كناية عن ضعفهم وعدم قدرتهم على شيء عندما انتهى إليهم جيش المجاهدين، ودارت الحرب بينهما.

وفي توظيف هذا الضرب البيانى توضيح لسوء حال هؤلاء المتكبرين، وحقارة شأنهم، وتقريب مشهدهم المفجع المفزع، إلى المتلقي حتى يشاركه أحاسيسه، وهو السر في استعمال حرف "الكاف" ولفظ "مثل" دون غيرها من أداة التشبيه.

فكلتا الصورتين صورة منتزعة وأبعاد غير قابلة لتجزئة أو انقسام ولذا اصطلح البيانيون على تسمية مثل هذا التشبيه بالتمثيل.[1]

ومن التشبيه التمثيلي ما ورد في إحدى قصائد الشاعر التي رثى بها شيخه الشيخ المختار الكنتي عندما يصور هذا الشيخ ويمثله بالشمس حيث يقول:

كَأَّن شَمْسًا أَضَاءَ مِن نُّورِهَا الآ * فَاقُ دَهْرًا فَحَانَ وَقْتُ غُرُوبِ

[1]- وفي البيت تناص، حيث تناص الشاعر في الصورة الأولى مع قوله تعالى في سورة الفرقان: "وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا"[1] والصورة الثانية مع قوله تعالى في سورة القمر "إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر".[1] فتعامل الشاعر مع هاتين الآيتين تعاملا حركيا عن طريق الإمتصاص حيث اشتمل الفكرة بلفظها لما أراد أن يوضح حال سوء عاقبة المتعالين المتكبرين عن قبول (دعوة الشيخ رحمه الله) والتي كانت حالة سيئة كريهة المنظر، استدعى الآيتين مع بعد المسافة بينهما، فكلا التشبيهين تشبيه لسوء عاقبة العصاة الفساق الخارجين عن الطاعة، وهذا الذي يسمى بالتناص القرآني في الدراسة العصرية الحديثة.راجع: محمد عزّام، النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م. ص: ٨٢.

أَوْ رَبِيعًا بِضَوْئِهِ وَنَدَاهُ * أَخْصَبَ الْمُجْدِبُونَ جَمَّ السُّكُوب[1]

خَدَمَتْهُ الْعُلَى وَخَصَّتْ ذُرَاهُ * كُلُّ عَلْيَاءِ كَالْخَدِيمِ اللَّبِيب

سَادَ بَلْ شَادَ ذِكْرُهُ فِي الْبَرَايَا * فَلَهُ فِي الْعَلاَءِ كُلُّ الْعَجِيب

عرف الشاعر أن ممدوحه، رفيع القدر، ونور الهداية والرشاد، أخرج الناس من ظلمات الوهم والجهل، إلى نور الهداية والعلم، ولما كان هذه أشياء معنوية بحث عن نظير هذه الصفات ليوضح قدر ممدوحه فضاهاه بالشمس بعد أن اكتملت وملئت الدنيا نورا وضياء مدة من الدهر، فكذلك ممدوحه لم ينقلب إلى جوار ربه إلا بعد أن ملأ الدنيا بنور علمه وبيانه وإرشاده.

فكأن الشاعر لم تقتنع نفسه بتصويره، وبيان فضل ممدوحه، فعمد إلى عالم الخيال ليجد مشبه به آخر ربما هو أقوى وأوضح في إظهار فضل ممدوحه ودرجته، فلم يجد إلا الوبل الصيب، والمطر الهاطل، والربيع المبارك الذي أصاب الأرض في سنة القحط والجدب، فأمسكت الماء وأنبتت النبات والعشب والكلأ، فحسن المنظر، وكثر الرزق، فكذلك الشيخ الكنتي جاء والناس في أمسّ الحاجة إلى العلم، فأروى غلتهم، وأشبع غريزتهم العلمية.

ولعلك تحسب أن الوجه الجامع بين شمس السماء والممدوح هو الضياء، والتلألؤ، أو الرفعة والظهور، أوالهداية والعلم، في البيت الأول، ولكنه جميع هذه الأشياء المركبة المتنزعة من عدة أمور، ثم لما كانت هذه الصفات معنوية في الممدوح أكد هذه المماثلة بين المشبه والمشبه به، "بكأن" ليؤكد ثبوتها في المشبه.

[1]- أمير المؤمنين محمد بلّو، المصدر السابق، ص: ٢٨

ومما يؤكد أن التشبيه تمثلي وجه التشبيه صورة منتزعة من متعدد فقد شبه الشاعر بين صورة الشمس حين تكتمل ضيائها قبل الزوال بشدة نصاعتها وبياضها، وقد ملئت الآفاق نورا وشعاعا، فينتفع بها الناس والنباس والشجر من حيث النمو والجمال، ثم تزول فيبدأ تراجع وضعف ذلك الضياء الوضَّاح إلى الاصفرار والاحمرار شيئا فشيئا، حتى تغيب عن أنظار العالمين، فيتم خفائها كاملا.

فشبه هذه الصورة بصورة العالم الكبير الذي أشرقت بنور علمه منذ شبابه إلى كهولته، وحتى شيخوخته، والناس ينتفعون به، ثم فجعة غربت شمس حياته وقبضه الله إليه، فذهب هذا النور، وغاب هذا العلم.

والغرض من هذا التشبيه الإبانة بطول باع المدوح، ورفعة قدره وجلال شأنه وعلو منزلته في حياته، وبيان مدى حسرة الشاعر خاصة، وحسرة العالم الإسلامي عامة من فقد هذه الشخصية التي استوت على جودي الشريعة والحقيقة.

ولما كان التشبيه بالشمس من المعاني المبتذلة المعهودة لدى الأدباء لكن زاد هذا التشبيه رونقا وجمالا وكاد يخرجه من ربقة التقليد الشائع إضافة كلمة "دهرا" في قوله "أضاء من نورها الآفاق دهرًا" ليدل القارئ والسامع على أن هذه الشمس لم يشبها شيء من الأفول والكسوف، بل أمست وهي في أوج مجدها، وقمة ضيائها إلى أن حان وقت غروبها، وذلك يوحي بأن المدوح لما تدركه منيته إلاّ بعد ما أضاء علمه الآفاق، وانتهى خيره إلى القريب والبعيد، والمحب والمنكر، وعلا صوته على كل صوت.

وعند الرجوع إلى البيت الثاني ترى الشاعر يريد أن يوضح دور ممدوحه، وجلال شأنه، وكثرة عطائه، وانتشار خيراته وبركاته، وبذل المعروف الكثير إلى السائل والمحروم، والصغير والكبير، فبحث عن شيء محسوس تكتمل فيه هذه الصفات فلم يجد أكثر من الربيع في حسن منظره، وواسع كرمه، وسعة بركاته وخيراته لكل على حد سواء.

والغرض من هذا التشبيه بيان ما تحلى به الممدوح من الأوصاف الإيجابية الخلقية والخلقية، وأنه بلغ من هاتين الحيثيتين مبلغ الربيع الذي كانت ولم تزل العرب تفتتن به إضافة إلى ما فيه من منافع كثيرة.

الفصل الرابع

الاستعارة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الاستعارة وخطرها البياني:

الاستعارة لغة: بعد تجريدها من الزوائد، مأخوذة من العارية وهي بمعنى الرفع والتحويل،وفي لسان العرب، ومنه إعارة الثياب والأدوات واستعار فلان سهما من كنانه، رفعه وحوله منها إلى يده[١]، وفي الحديث، "مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين غنمين، أي المترددة بين قطيعين لا تدري أيهما تتبع".[٢]

أما الهمزة والتاء والسين، الزائدة في الكلمة فإنها تفيد الطلب، وكأن الذي يشبهه معنى بمعنى تشبيها مضمرا في نفسه يطلب جريان اسمه عليه مبالغة في دعوى الاتحاد، ثم يجعل هذا بمثابة دليل على الامتزاج المزعوم.[٣]

هذا من الناحية اللغوية، وأما من الناحية الاصطلاحية فإن البلاغيين عرفوها بتعريفات عدة.

هي عند الجاحظ: "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[٤] وعند ابن قتيبة: "وضع كلمة مكان أخرى، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها، أو مشاكلا".[٥]

---

[١]- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مادة عير، ج/٦، ص: -٢٣.
[٢]- رواه مسم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث ١٧.
[٣]- الدكتور أحمد عبدالسيد الصاوي، فن الاستعارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية، بدون تاريخ ص:٢٠.
[٤]- الدكتور عبدالعزيز عتيق، علم البيان، مرجع سابق ص: ٢٨.
[٥]- المرجع نفسه والصفحة.

وعند الشيخ عبدالقاهر الجرجاني، "أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى الاسم المشبه به فتعيره المشبه وتُجريه عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول "رأيت أسدا".[1]

ويقول السكاكي: الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به.[2]

ويعرفها الخطيب القزويني بقوله: هي ماكانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له".[3]وهو التعريف نفسه عند الشيخ بهاء الدين السبكي: هي ماكانت علاقته تشبيه معناه بموضوعه".[4]

تلك طائفة من تعريفات الاستعارة وهي وإن اختلفت عباراتها إلا أنها تشير إلى هدف واحد، ومغزى واحد، وهو أن (الاستعارة) استخدام كلمة في غير معناها الحقيقي، لعلاقة المشابهة مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة، تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.[5]

وخلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي يلاحظ أن المعنى الأول هو الثاني إلا أن بينهما عموما وخصوصا من وجه، فالاستعارة بمدلولها اللغوي صالحة بكل شيء كالملابس والكتب والأدوات... وبمفهومها الاصطلاحي لا تصلح إلا في المعاني (الألفاظ).وهذا هو الحد الفاصل بين المدلولين

---

[1]- الإمام عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المطبعة المسنى، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ ١٩٩٢م ص: ٦٧.
[2]- السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ=/٢٠٠٠ ص: ٤٧٧.
[3]- الخطيب، القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: ٢٨٥.
[4]- الشيخ بهاء الدين السبكي، كتاب عروس الأفراح، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ٢٠٠٩م ١٤٣٠هـ ص: ١٤٢.
[5]- الدكتور بكري، شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٣م، ص: ١٠١.

اللغوي والاصطلاحي، كما يفهم أن الاستعارة معناها الاصطلاحي داخل في المجاز اللغوي، وسميت بالاستعارة لمكان التناسب بين المعنيين، وأول من سماها بالاستعارة هو: أبو عمرو بن العلاء البصري.[1]

كما يلاحظ أن الاستعارة في حقيقتها تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه، في الاستعارة.

وتطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه في المشبه به، فيسمى المشبه به مستعارا منه، والمشبه مستعارا له،واللفظ مستعارا، وهذا الإسناد استعارة، وقرينة الاستعارة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية.[2]

أقسام الاستعارة:

وقد نظر البلاغيون إلى الاستعارة من حيثيات متعددة فهي من حيث ذكر أحد طرفيها تنقسم إلى تصريحية ومكنية.

١- الاستعارة التصريحية:

وهي التي يصرح فيها بالمستعار منه (المشبه به) ويحذف المستعار له (المشبه)، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه،[3] مثل قولك: تكلم أسد فوق المنبر، حيث شبهت الشيخ الخطيب بالأسد، فالشيخ في المثال هو المستعار له (المشبه) والأسد هو المستعار منه (المشبه به) والمذكور هنا المشبه به، وهو (الأسد) والمحذوف هو المستعار له (الشيخ) فهي استعارة

[1]- فن الاستعارة ص: ١٧. مرجع سابق.
[2]- أحمد مصطفي المراغي، المرجع السابق، ص: ٢٠.
[3]- أيمن أمين عبدالغني، الكافي في البلاغة، دار التوفيقية للتراث بدون تاريخ، ص: ٧-٧٧. وانظر أيضا، الدكتور عبدالعزيز عتيق ص: ١٣٣.

تصريحية، ومنه قوله تعالى ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾[1]

ومنه قول الشاعر:

دقات قلب المرء قائلة له * إن الحياة دقائق وثوان

شبهت الدلالة بالقول بجامع إيضاح المراد وإفهام الغرض في كل منها، واستعير اللفظ الدال على المستعار منه للمستعار له، واشتق من القول بمعنى الدلالة "قائل" بمعنى دال على طريق الإستعارة التصريحية والقرينة نسبة القول إلى الدقات.

وهي تنقسم إلى:-

(أ) **تحقيقية**، وهي ماكان المستعار له فيها محققا حسا أو عقلا بأن كان اللفظ منقولا إلى أمر معلوم يمكن الإشارة إليه، إشارة حسية أو عقلية، فالحسية كقول زهير في معلقته يمدح حصين بن ضمضم:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لُبدٌ أظفاره لم تعلَّم[2]

فقد استعار لفظ الأسد لرجل شجاع وهو محقق حسا، وفي العقلية، قوله تعالى:-

﴿قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴾حيث استعير لفظ الصراط لملة الإسلام، وهي محققة عقلا، بجامع التوصيل إلى الهدف في كل منهما، وهي محققة عقلا.

---

[1]- سورة النحل: الآية: ١١٢

[2]- أحمد مصفي المراغي، المرجع السابق، ص: ٢٣٠.

[3]- سورة الفاتحة، الآية: ١٥.

(ب) **تخييلية**، وهي ماكان المستعار له فيها غير محقق لا حسا ولا عقلا بل هو صورة وهمية محضة، لايشوبها شيء من التحقيق. نحو قول الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع[1]

فإنه لما شبه المنية في الاغتيال أخذ الوهم يصور المنية بصورة السبع ويخترع لوازمه لها فاخترع لها مثل صورة الأظفار ثم أطلق على هذه الصورة لفظ الأظفار، فتكون الأظفار عنده تصريحية تخييلية، لأن المستعار له الأظفار صورة وهمية شبيهية بصورة الأظفار الحقيقية وقرينتها إضافتها إلى المنية.[2]

(ب) الاستعارة المكنية:

هي ماحذف المستعار منه (المشبه به) ورمز إليه بشيء من لوازمه مع ذكر المشبه،نحو قوله ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنه. "بنى الإسلام على خمس".[3]

شبه الرسول ﷺ الإسلام بالبيت، والإسلام في المثال هو المستعار له (المشبه) والبيت هو المستعار منه (المشبه به) والمذكور هنا المشبه وهو "الإسلام"، وحذف المستعار منه "البيت" لكنه ذكر شيئا يدل عليه، وهو "بني" على طريق الاستعارة المكنية، لأنه ذكر المستعار له وحذف المستعار منه.[4]

---

[1]- المرجع السابق والصفحة.
[2]- المرجع نفسه والصفحة.
[3]- مسند ابن عمر بن الخطاب، الجزء الرابع ص:٤٠٢.
[4]- أيمن أمين عبدالغني، المرجع السابق، ص: ٧٧.

وفي قوله تعالى "﴿ حٰمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝١٢ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝١٤ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝١٥ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ۝١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٧ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝١٨ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٢٣ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ۝٢٤ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ۝٢٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٢٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ۝٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ۝٣٢ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٦ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ۝٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۝٣٨ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٣٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ۝٤٣ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٤٤ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ۝٤٥ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ۝٤٧ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ۝٤٨ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ۝٤٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٥٠ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ۝٥١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٢ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ۝٥٤ ﴾[1] أمر الله تعالى الأبناء أن يذلوا للآباء وشبه الذل بالطائر وحذف المستعار منه ورمز له بشيء من لوازمه وهو الجناح.

وتنقسم الاستعارة باعتبار لفظها إلى أصلية وتبعية.

فالاستعارة الأصلية: هي ماكان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا سواء كان اسم جنس نحو: الأسد، والإنسان، نحو: زيد، أو اسم معنى: كالقتل، والطغيان، والصدع، ومن الأمثلة عليها قول الشاعر:

يا "كوكبا" ماكان أقصر عمره * وكذاك عمر كواكب الأسحارا

شبه الشاعر الولد الصغير "بالكوكب" بجامع صغر الجسم وعلو الشأن في كل، ثم استعير اللفظ الدال على المستعار منه "الكوكب" للمستعار له "الابن" والقرينة نداؤه"[2] وعند التأمل تجد أن اللفظ المستعار وهو "الكوكب" اسما جامدا غير مشتق ، ومن أجل ذلك يسمى هذا النوع من الاستعارة أصلية. وقول المتنبي:

حملت إليه من ثنائي "حديقة" * سقاها الحجا سقى الرياض السحائب[3]

فالشاعر هنا شبه الشعر بـ"الحديقة" بجامع الجمال في كل، واستعار اللفظ الدال على المستعار منه "الحديقة" للمستعار له "الشعر" على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة من لساني وسقاها الحجا" وعند إعمال الفكر

[1]- سورة الإسراء، الآية: ٢٤.
[2]- الدكتور عبدالعزيز عتيق، ص: ١٣٧-١٣٨.
[3]- عبدالله بن محمد ابن أبي الدنيا، المرجع السابق، ص: ١٩٥.

تجد أن لفظ المستعار وهو "الحديقة" اسم جامد غير مشتق، ومن هنا سميت استعارة أصلية.

أما الاستعارة التبعية، فهي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه استعارة اسما مشتقا أو فعلا، والأسماء المشتقة هي: اسم الفاعل، واسم المفعول، واسما الزمان والمكان، واسم الآلة[1] مثالها قوله تعالى: "ولماسكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة"[2] الآية الكريمة تشبيه انتهاء الغضب عن موسى "بالسكوت" بجامع الهدوء في كل، ثم استعير اللفظ الدال على المستعار منه (المشبه به) وهو (السكوت) للمستعار له، "المشبه" وهو "انتهاء الغضب" ثم اشتق من "السكوت" بمعنى انتهاء الغضب "سكت" الفعل بمعنى انتهى.

وكل استعارة تبعية قرينتها استعارة مكنية، وإذا أجريت الاستعارة في واحدة منهما امتنع إجراؤها في الأخرى.

أما الاستعارة باعتبار الملائم، فإنها تنقسم إلى مرشحة ومجردة ومطلقة.

أ- المرشحة، هي ماذكر معها ملائم المستعار منه، أي المشبه به كما في قوله تعالى: "نُوحٌ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلُ الْمُدَّثِّرُ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ ".[3]

ففي هذه الآية استعارة تصريحية في لفظة "اشتروا" فقد استعير "الاشتراء" للاختيار" بجامع أحسن الفائدة في كل، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى

[1]- المرجع السابق، الصفحة. وانظر أيضا الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان، دار النفائس الأردن، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٩م ط١٢، ص: ٢١٦.

[2]-

[3]- سورة البقرة الآية: ١٦.

الأصلي لفظية وهي "الضلالة" وأنت ترى أن الاستعارة قد ذكر معها ما يلائم المستعار منه "اشتراء" وهذا الشيء هو "فما ربحت تجارتهم" ومن أجل ذلك تسمى "استعارة مرشحة" وكما في قول كثير عزة:

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر * ظواهر جلدى وهو للقلب جارح[1]

يقول: إنها رمته بسهم نظرها الفتاك الذي ريشه الكحل فجرحت قلبه ولم يضر ظواهر جلده، فاستعار السهم للنظر بجامع التأثير في كل، ثم رشح الاستعارة بذكر الريش الملائم للسهم.

ب- **المجردة**: ما ذكر معها ملائم المستعار له أي المشبه، وذلك كما في قول سعيد النصراني:

وعد "البدر" بالزيارة ليلا * ما وفي قضيت نذورى[2]

فقد شبه الشاعر المحبوبة بـ"البدر" بجامع الحسن والضياء في كل، ثم استعير المشبه به "البدر" للمشبه "المحبوبة" على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هنا لفظية، وهي "وعد" وعند التأمل تجد أن الاستعارة ذكر معها شيء يلائم المشبه "المحبوبة" وهذا الشيء هو "الزيارة والوفاء بها" ولذكر ملائم المشبه مع الاستعارة تسمى استعارة "مجردة"[3]

ج- **المطلقة**: هي ما خلت من ملائمات المشبه به والمشبه، وهي كذلك ماذكر معها ما يلائم المشبه به والمشبه معا. كما في قوله تعالى:-

[1]- أحمد مصطفي المراغي، المرجع السابق، ص: ٢٣٤.
[2]- أبو القاسم الأصفهاني، المرجع السابق، ص: ١٢٢.
[3]- الدكتور عتيق، المرجع السابق، ص: ١٤٦.

"العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ"[1] ففي لفظة "طغى" استعارة تصريحية تبعية، فقد شبه فيها "الزيادة" بالطغيان بجامع تجاوز الحد في كل، ثم اشتق من "الطغيان" الفعل طغى بمعنى زاد على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي "الماء".

عند النظر إلى هذه الاستعارة بعد استيفاء قرينتها تراها خالية مما يلائم المشبه والمشبه به، ولهذا تسمى استعارة "مطلقة".

خطر الاستعارة البياني:

إن الاستعارة هي قمة الفن البياني، وجوهر الصورة الرائعة والعنصر الأصيل في الإعجاز والوسيلة الأولى التي يخلو بها الشعراء وأولو الذوق الرفيع إلى سماوات الإبداع، ما بعدها أروع ولا أجمل ولا أحلى، وبالاستعارة ينقلب المعقول محسوسا تكاد تلمسه اليد وتبصره العين وتشمه الأنف، و تتكلم الجمادات وتنغس الأحجاز وتسري فيها روح الحياة فترى الطبيعة الصامتة الجامدة تغني وترقص وتلهو كأنها من ذوات الروح والمشاعر والأحاسيس والقلب النابضة، وحياة وانفعالات، وقد وصفها شيخ البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله: "واعلم أن الاستعارة في الحقيقة هي هذا الضرب دون الأول هي أمد ميدانا وأعظم افتتانا وأكثر جريانا وأعجب حسا وإحسانا وأوسع سعة، وأبعد غورا، وأذهب نجدا في الصناعة، وغورا

[1]- سورة الحاقة، الآية: ١١.

من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحضر فنونها وضروبها، نعم وأسحر سحرا، وأملأ بكل ما يملأ صدرا، ويمتنع عقلا، ويؤنس نفسا، ويوفر أنسا..."[1].

ومن خصائصها التي تذكر بها:"أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر وكذلك التشخيص والتجسيد للمعنويات وبث الحركة والحياة والنطق في الجمادات فإنك تجد بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا،والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية".[2]

ومن مزية الاستعارة أيضا المبالغة في إبراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة كقوله تعالى: "وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال".[3] فجمال الاستعارة هنا هو: إخراج مالا يدرك إلى ما يدرك بالحاسة تعاليا بالمخبر عنه، وتفخيما له إذ صبر بمنزلة ما يدرك ويشاهد.

فأسلوب الاستعارة من أكثر الأساليب تأثيرا في النفس، وإرهافا للحس، إذ هي جوهر الأسلوب الأدبي، وركيزته الأولى متى ما خلت من التكلف والصنعة.

وتبدو قيمة الاستعارة في الحقيقة في أنها وسيلة اكتشاف العالم الداخلي للشاعر، بكل ما فيه من خصوصية وتفرد وتميز، لا تستيطع اللغة

---

[1]- أسرار البلاغة، ص: ٣٣.
[2]- المرجع نفسه والصفحة.
[3]- سورة إبراهيم، الآية: ٤٦.

العادية التجريدية أن تعبر عنه أو توصله إلى القارئ، وعلى ذلك يتحدث ناقد معاصر عن الاستعارة فيقول:

"الاستعارة تقرب بين حقيقتين بعيدتين إحداهما عن الأخرى كل البعد، وقد تجردتا من أي علاقة يمكن فهمها، فهذه الاستعارة أكثر من أن تكون مجردا استعارة عادية، وربما هي التي تضمن الأداة المثلى في المعرفة".[1]

[1]- أحمد عبدالسيد الصاوي، المرجع السابق، ص: ٣٤٤.

المبحث الثاني: صور الاستعارة من الديوان:

الاستعارة التصريحية:

استطاع الشاعر أن يولى الاستعارة التصريحية خاصة جد عناية حيث عثر الباحث بثمانية عشر صورة تصريحية. ومن روائع ما استخدمه الشاعر من أساليب الاستعارة ما ورد في تصوير عبد مذنب أراد به نفسه حيث قال:

أَيَا طَاهِرَ ٱلأَوْصَافِ يَاطَيِّبَ الْخُلاَ وَيَاغَوْثَ مَلْهُوفٍ طَرِيدٍ وَمَلْجَاهُ
وَيَا بَابَ عَفْوِ اللهِ غَوْثَ عِبَادِهِ وَجَاهًا عَظِيمًا وَهْوَجَاهٌ هُوَ الجَاهُ
فَهَذَا عُبَيْدٌ جَاءَ لِلْبَابِ عَانِيًا أَسِيرُ ذُنُوبٍ قَيَّدَتْهُ خَطَايَاهُ
بِرَاحَتِكُمْ فَكُّ الْعَنَاةِ وَعِتْقِهِمْ وَإِسْقَاطِ غُرْمٍ عَنْهُمُ طَالَ بَلْوَاهُ[1]

أطلق الشاعر عنان شاعريته نحو جناب الحبيب المصطفي صلى الله عليه وسلم شاكيا ذنوبه وخطاياه التي حالت بينه وبين الوصول إلى حضرة الباري جل ثناؤه، فالرسول ϑ مأوى الخائفين، وعون الملهوفين، وهو باب عفو الله ورحمته، فمن أراد عفو الله ورحمته فليأت الباب، فالحبيب ϑ إذا هو الواسطة بين الحق والخلق، به يتوسل إلى الله تعالى في كشف الكرب ونيل المآرب قال تعالى:"لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ "[2] فعلى هذا الأساس لجأ الشاعر إلى بيت رسول ا لله ﷺ مطأطأ رأسه متواضعا علَّه يؤذن له

[1]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٥٩-٦٠.
[2]- سورة النساء، الآية: ٦٤.

بالدخول، فيشفي من أوصابه فيكون معدودا في المحبين، موصلين إلى حضرة البارئ جل وعلا.

والاستعارة واقعة في البيت الثالث في قوله: "أسير ذنوب قيدته خطاياه" فلفظ الأسير حقيقة في المأخوذ في الحرب، فاستعمله الشاعر مجازا، فيمن حبسه الذنب والمعاصي عن الوصول إلى حضرة البارئ جل ثناءه، بإضافة كلمة ذنوب" بجامع أن كلا منهما لازم مكانا واحدا، ثم تناسى التشبيه وحذف المشبه الذي هو (المدمن في الذنوب) وأبان بلفظ المشبه به وهو "الأسير" على سبيل الاستعارة التصريحية.

وتظهر جمالية الاستعارة في قول الشاعر "قيدته خطاياه" لأن الأسير قد يكون غير مقيد راسف في قيوده، فعل ذلك لتوكيد الوصف وإظهار المعنى، ولما كان الأسير الراسف لايستطيع التفلت أو توسع الخطوات إلى مرغوبه، كذا من أدمن ذنبا يكسبه فذنوبه تقف أمامه عائقة دونه ودون الوصول إلى مرغوبه كالعبد الأسير المحبوس. فآفاق خيال الشاعر واسعة جدا حيث استطاع بخياله الرهيف أن يقرن بين حالة الأسير وحالة من لزم ذنبا ولم يستطع التخلص منه بجامع أن كلا منهما لزم شيئا ولم يفارقه.

ومما أجاد الشاعر فيه من استعمال أسلوب من الاستعارة التصريحية ما يقوله في رثاء شيخه ومربيه الشيخ عثمان بن فودي ﷺ.

فَدَعِ الْعُيُونَ تَجُودُ دَهْرًا سَرْمَدًا بِدُمُوعِهَا وَتُشَقِّقُ ٱلْأَكْبَاد

حَزَنًا عَلَى نُورٍ أَضَاءَ بِأَرْضِنَا وَهُو الْهُدَى فِي الدِّينِ وَٱلْإِرْشَاد[1]

[1]- أمير المؤمنين، محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٤٣.

فالشاعر هنا يصف الحالة النفسية التي وجد نفسه فيها من الحزن والقلق عندما فاضت روح شيخه ووالده، ومربيه المجدد عثمان بن فودي ﷺ فيراه الشاعر متصفا بنعوت الخير من العلم والإرشاد بل إنه جماع الأخلاق الإيجابية، إذ الشاعر فيما يبدو لا يتحسر على ذاتية الممدوح، إنما يحزن على معنوياته أكثر، لذلك عمد إلى وصفه بالنور يهتدي به الناس إلى البر والحق، والخير والنماء، ويخرجون به من ظلمات الجهل والكفر إلى العلم والرشاد.

ويبدو أن الاستعارة وقعت في البيت الثاني عند استعمال لفظ "النور" حيث إن "النور" حقيقة في الضوء والسطوع بين الأشياء رؤية الأبصار حقيقتها وذاتها، ثم أطلقه الشاعر على ممدوحه المرحوم مجازا، والعلاقة ين المعنين المشابهة في أن بيان الشيخ في الكشف عن الحق في القلوب، كبيان النور في العيون، فحذف المشبه ادعاء بأنه هو عين المشبه به، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو "النور" للمشبه، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي حالية، على سبيل الاستعارة التصريحية التي يصرح فيها بلفظ المبشه به دون المشبه.

ثم رشح الشاعر هذه الاستعارة بقوله: إن هذ النور الذاهب "أضاء بأرضنا" فوصف النور بما يلائمه لتحقيق المبالغة في الاستعارة، إذِ الشاعر تناسى تماما أنه يشبه رجلا عالما رفيعا يشبه علمه النور في الهداية، وصمم على إنكار التشبيه ودعوى الاتحاد، ونقل الصفة المحسوسة للمعنوى المعقول

وجعلها مماثلة حقيقية لذلك المعنوي المعقول، وذلك مما زاد الاستعارة جمالا ورونقا.

والسر البياني من هذه الاستعارة هو أن أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو أراد أن يوضح صورة خلقية إيجابية تحلى بها الشيخ عثمان، فاستعمل النور، لما فيه من الإيجابيات من حيث إنه ينير الطرق، ويخرج الناس من ظلمات الليالي إلى أنوار النهار، كما حاول الشيخ عثمان في إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى أنور العلم والمعرفة بما منّ الله به عليه من العلوم والمعارف، من الشريعة والحقيقة.

ولا يزال الشاعر تجيش عاطفتة الشعرية في الممدوحين بالرثاء مرة وبالحنين مرة أخرى رجاء أن يقضي الدين الذي عليه، وأن يفي بالعهد الذي بينه وبين الأحباب، وذات يوم حن قلبه إلى أحبابه وأوطانهم فابتغى إلى ذلك سبيلا قائلا:

كَأنّ رَحْلِى بِذِي ضَالٍ وَدَارَتِهَا عَلَى أَقْبٍ بِجِرْع يَبْتَقِى أُتُنَا
مُسَحَّجٍ فَارِحٍ مُسْتَأْنَسٍ وَحِدِ مِمَّا تَعَاوَرَهُ الْكَلاَّبُ فِي ضَجِنَا
فَأَفْرَدُوهُ فَأَضْحَى لاَيُؤَالِفُهُ عَيْنٌ وَلاَ مِسْحَلُ الْبُهْمَي لِذَا مُزُنَا
فَذَاكَ يُبْلِغُنِي دَارًا بِهَا نَزَلَت سَحَابَةُ الْعِلْمِ تَهْمِى لَمْ تَزَلْ زَمَنَا[1]

لما مر الشاعر بدار الأحباب وجد طللا من الأطلال كأن لم تسكن بعد، أوقف الأصحاب شاكيا وباكيا بمكان يسمى ذي ضال، يستعين الأصحاب إلى دار الهجرة مُلجّا حتى إن فرسه فهم ما أضمره فشاطره

[1]- أمير المؤمنين، محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٧١.

بالتصويت والتجريع، لكن الأصحا بمضوا عنه بعد التصبير والتجليد، والشاعر مصمما على أن أن يستمر حتى يصل إلى دار الحبيب إذ إلى مثله هو تضرب إليهم أكباد الإبل لكرمه، وجوده، وبذله المعروف للقريب والبعيد، متصف بالعلم العزيز، والفهم الدقيق، والعمل النافع يماثل السحاب في الجود والسخاء، والإحسان إلى القانع والمعتمر.

فأنت ترى أن الاستعارة وقعت في البيت الرابع عند قوله: "نزلت سحابة العلم تهمى"، فإنه شبه الممدوح بالسحاب بجامع الكرم والجود، وكثرة الخير والبركة، ووصولها إلى المحب والمنكر، فحذف المشبه وهو "الرجل الكريم الجواد، ذو العلم الغزير والعمل النافع" وصرح بلفظ المشبه به وهو "السحاب" على طريق الاستعارة التصريحية، وهي مطلقة لخلوها عن كل ما يلائم المشبه به في التصوير.

فإذا تأملت جمال الاستعارة ترى سعه أفق خيال الشاعر في التشبيه حيث أضاف إلى السحاب كلمة "تهمى" التي تدل بمعناها المعجمي على النزول المتتابع دون الانقطاع، ليدل على شدة فيضان كرم الممدوح وعلمه إلى الناس، لأنه لو اكتفي بذكر السحاب لكان فيه نوع من التقريظ في بيان المراد، لأنه بالطبيعة قد يعرض السحاب ولا يمطر، أو يمطر الطل والرذاذ، لكن الشاعر اللبيب بخياله المرهف استطاع أن يدفع هذا الوهم الخاطر بزيادة كلمة "تهمى" ويتناسى التشبيه ويدعى الاتحاد بين المشبه والمشبه به.

ويبدو جليا أن الاستعارة تكونت من شيء محسوس إلى معقول لتوضيح فضل الممدوح وكرمه، وإحاطة المتلقى الحالة العلم بدون توقف ولا توان.

فأنت ترى أن هذا الفقيد اجتمعت بين جنبيه المكارم والعلا، وهو الذي حصر طاقته العقلية والمادية في إحياء السنة المحمدية، وقمع البدع الشيطانية، وحري للشاعر أن يسكب الدموع على مثل هذا الراحل ليس جزعا على فوات حياته المادية بل لخسران المناقب والسماحة والندى، فهي رزية ليس بعدها ما يفزع الشاعر، على الرغم من أنها ازدادت بعد وفاة الشيخ بهجوم المتمردين من أهل غوبر وزنفر وكبي وغيرهم على الأمير، ويعبر عن ذلك الشيخ مُحَمَّد بلو بقوله:

خَطَبٌ جَلِيلٌ حَلَّ حِينَ نَعَولَنَا * ذَاكَ الضِّيَاعَ فَغَابَ فِيهِ سَوَادُ
جَلَّتْ مُصِيبَتُنَا لِفَقْدِ حَيَاتِهِ * فَإِذَا الْمُصِيبَةُ بَعْدَهَا تَزْدَادُ
نَجَمَ النِّفَاقُ وَأَشْمَلَتْ لِوَفَاتِهِ * بِصَحَابِهِ الْكُفَّارِ وَالْحُسَّادُ
ثَارَتْ عَلَيْنَا فِي الْجَوَانِبِ كُلِّهَا * مِنْهُمُ خَفَافِيشُ الْوَرَى الأَوْغَادُ
ظَنًّا بِأَن يَسْتَأْصِلُوا أَصْحَابَهُ * وَلَهُمْ بِكُلِّ مَحَلَّةٍ أَجْنَادُ
وَاللهُ يَكْلَؤُنَا وَيَنْصُرُجَمْعَنَا * وَلَنَا وَقَائِعُ فِيهِمُ أَشْهَادُ[1]

طلع فجر النفاق لامعا في سماء المنطقة (منطقة سكوتو) بعد أن مال إلى المحاق والكسوف، إذ ظهر المتعالون على البطلان والفساد،المتمردين على خليفة المسلمين بدعوى الاستحقاق على الخلافة حينا، والرجوع إلى

[1]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٤٣-٤٤.

دين الآباء والأجداد طورا، والشاعر يرمز بذلك إلى الشيخ عبدالسلام الغمبني الذي طمع إلى الخلافة قبيل وفاة الشيخ عثمان فاستدعاه ونبهه وأخذ عليه ميثاق البيعة، وبعد وفاة الشيخ أحس بضعف الأمير مُحَمَّد بلو فاستغل الفرصة، وآوى المعارضين من أهل غوبر، وزنفر وكبّي إلى بلاده، وأعلن مساندته لهم، وفتح بلاده لهم حتى إذا اشتد ساعدهم يقيموا الثورة ضد الخليفة[1]، لكن الأمير هددهم تهديدا وذكرهم بأيامهم الماضية ليعتبروا بها، والله هو العزيز الناصر الموفق.

فأنت ترى بعد هذه الرحلة القصيرة، أن الاستعارة وقعت في البيت الرابع في وصف الثوار بـ"الخفافيش" ولفظ "الخفاش" حقيقة في حيوان ثدي من رتبة الخفاشيات، قادر على الطيران ضعيف البصر في النهار، لكن الشاعر استعمله مجازا في أناس لايفهمون الأمور الجلية التي هي صدق الإسلام والإيمان، والجامع بينهما ضعف البصر والبصيرة في كل، فالخفاش يزيده النهار سوء بصر، والضال الهالك يزيده نور الشريعة ابتعادا عن الله لضعف القلب وعمي البصر، "بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى:** ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾"[2] ثم تناسى الشاعر التشبيه وحذف المشبه الذي هو "الثوار من أهل غوبر وزنفر وكبي" وصرح بلفظ المشبه به وهو "الخفاش" على سبيل

[1]- الدكتور محمد علي السكاكر، المرجع السابق، ص: ٧٤.
[2]- سورة الجاثية، (٢٣).

الاستعارة التصريحية الأصلية، هي أصلية، لأن اللفظ الذي جرت عليه الاستعارة إسم جامد ليس مشتقا.

ثم جرَّد الشاعر الاستعارة أيضا بذكر "الأوغاد" في قوله:"منهم خفافيش الورى الأوغاد" وهي أي الأوغاد صفة تلائم المشبه للكشف عن ذاتية القوم، واستهزاء لأمرهم، وبيان مستواهم العقلي.

هذا، وقد اشتاق الشاعر إلى المحبوب الأعظم ﷺ وتوقدت نار الغرام في قلبه، وجرى مداد قلمه بذكر شمائله، وخصائصه، ومعجزاته شوقا وحنينا إليه، فمن بين الأماكن التي لجأ الشاعر إلى إبراز انطباعه بالصورة الاستعارية قوله:-

رَاكِبًا جَمَلاً جَمِيلاً بَعَّكَا حَيِّ الْحَبِيبِ وَصِلْهُ مِنِّي مَأْلُكَا[1]
خَبِّرْهُ أَنِّي فِي أُسَارَى حُبِّهِ وَالْقَلْبُ مِنِّي فِي سِوَاهُ تَجَكْجَكَا
شَمْسُ الضُّحَى نَزَلَتْ بِطَيْبَةَ فَاهْتَدَى مِنْهُ الأَفَاضِلُ وَالأَبَاطِلُ أَهْلَكَا
هَلُّوا الْمَوَاكِبِ سَائِرِينَ بِبَابِهِ وَالْكُلُّ فِي شَهْوَاتِ نَفْس أَرْضَكَا
لِيَفُوزَ فَوْزًا بِالَّلأَلِي وَالْهُدَى وَجُدُودُ ذَاجِدٍّ وَلَيْسَ زَبَعْبِكَا[2]
نُورُ الْهُدَى بَدَرُ الدُّجَى شَمْسُ الضُّحَى غَيْثُ الْوَرَى فِي كُلِّ أَرْضٍ تِبْرِكَا[3]
جَمَعَ الْمَحَاسِنَ فِي عُلاَهَا كُلَّهَا قَمَصُ الْكُمَاتِ عَنِ الْوَغَى فَاسْتَفْتِكَا[4]
يَا رَبِّ يَسِّرْ سَيَرَنَا لِمَكَانِهِ لِنَرَى مَوَاضِعَ جسْمِهِ وَالْمُتْرِكَا[5]
فَاغْفِرْ لِنَاظِمِ مَدْحِهِ وَسَمِّيهِ وتَنِيلُهُ يَوْمَ التَّلاَقِي عَفْوُكَا

فالشاعر يبلغ رسالة العاشق المخلص إلى الحبيب الفريد صلى الله عليه وسلم ويقول: يامن شدّ الرحل إلى دار الحبيب بلغه عني رسالة، تحمل في طياتها كلمات التبجيل والتعظيم، والمجد والثناء، وأشهده

[1]- مألكة: الرسالة. المعجم الوسيط. (٢) زبعبكا: الزبع- تزبع، ساء خلقه/تغيظ وعربد، المنجد: مادة: (زبع) (٣) التبر: الواحدة: "تبرة" ماكان من الذهب غير مضروب أو غاير مصوغ أو تراب معدته. المنجد: مادة اتبر. (٤) فتك: فتكًا وفتكا وفُتُكا الرجل: كان جريئا شجاعا يركب ماهم من الأمور، ودعت إليه النفس، وفتك بفلان: بطش به أو فتله على عقله. المنجد: مادة (فتك). (٥) التِّركة والتركة: الشيء المتروك ومنه تركة الميت. المنجد: مادة (ترك)

فناء ذاتي وتعلق قلبي به دون سواه، كيف لا وهو الإنسان الكامل الهادي الشريف، رفيع القدر والمكانة، الذي لولاه ما اهتدى الناس إلى الحق،

وهو الذي يتزاحم العشاق إلى زيارة أرضه المقدسة، وتشتهى النفوس إلى الوقوف ببابه لتفوز بأطايب كلامه، وتسعد بجوامع كلمه، وتظفر بالجود والإحسان، والرضى والرشاد، فالممدوح عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم — هو النور الذي سطع في الأرض فاهتدى به الأنام إلى الشريعة الغراء، والبدر الذي بدد ظلام الجاهلية من الشرك والضلال، والسفه، وأفاض صيب علمه على الورى فأحيا به القلوب الميتة، وزبدة القول إنه الإنسان الوحيد الذي جمع كل المحاسن، والشخص الفريد الذي آوى المعالي إليه صلوات الله وسلامه عليه.

وعند ما تلاحظ الصور المتعاقبة في هذه الأبيات تجد الشاعر في البيت الثالث يذكر كلمة "الشمس" التي تدل في أصل وضعها على النجم الرئيس المضئ الذي تدور حوله الأرض، وتشرق عند الصباح وتغرب عند المساء،[1] وتستعمل مجازا في الرجل الشريف، فالمراد بها هنا الإنسان الكبير الوضيء الذي وصوت درجته درجة كل مخلوق، وتخفيها كما تخفي الشمس الكواكب، فالشمس الحقيقية بعيدة عن الناس رفيعة عنهم، إلا أن ضوءها قريب، فالرسول كذلك مع رفعة شأنه، وعلو كعبه، وذروة مجده، إلا نه قريب إلى الناس بتواضعه ولطفه ورحمته، وكثرة الإحسان، وحسن العشرة، فالعلاقة إذا بين المعنى الحقيقي والمجاز هي المشابهة في أن كل واحد يتصف

[1]- قاموس المعاني، المرجع السابق، مادة الشمس.

بالعلو، وإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي جملة "نزلت بطيبة" إذا الشمس الحقيقية لا تنزل بطيبة إنما تغرب، ثم تناسى الشاعر التشبيه، وحذف المشبه وهو الرسول ﷺ، وأقام المشبه به مقامه وهو "الشمس" على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة.

والسر البياني هنا بيان حل المشكلة التي خميت على العالم ركام الشرك والضلال، والظلم والطغيان وعندما استقر الرسول ﷺ بدد ظلام الجاهلية، وأرشد الناس إلى الهداية والرشاد، وأقام العدل بين الصغير والكبير، والضعيف والقوي، والقريب والبعيد بلا فرق، وصدق الله العظيم عندما قال: "الرَّعۡدِ إِبۡرَٰهِيمَ الۡحِجۡرِ النَّحۡلِ الۡإِسۡرَاءِ الۡكَهۡفِ مَرۡيَمَ طٰهٰ الۡأَنۢبِيَاءِ الۡحَجِّ "[1] وفي ذلك إشعار لبيان درجته وفضله ومنّه على الناس.

وفي البيت الخامس شبه الشاعر شمائله ﷺ وأطايب كلامه وجوامع كلِمه بـ"اللؤلؤ" الذي هو الدر اللمَّاعة المستديرة في بعض الحيوانات المائية من الرخويات، والعلاقة بين المعنيين المشابهة في القيمة والدرجة والصفاء في كل، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي أن اللألئ المجازية منبعها الرسول ﷺ، واللألئ الحقيقية منبعها الحيوانات المائية، ثم حذف الشاعر لفظ المشبه وهو "الشمائل وأطايب الكلم وجوامعها، وصرح بلفظ المشبه به وهو "اللألئ" فالاستعارة إذا تصريحية أصلية مطلقة.

[1]- الإسراء الأية: ٨١

والاستعارة الثانية من البيت "بدر الدجى"، ولفظ "البدر" في المعنى الوضعي الأصلي حقيقة في القمر ليلة كماله، وقد استعملها الشاعر مجازا في الإنسان الكامل الهادي الحبيب إلى القلوب والعيون، وهو الهادي المصطفي ﷺ، لعلاقة المشابهة بينهما، والقرينة التي تمنع الذهن من أن ينصرف إلى المعنى الأصلي للفظ حالية، ثم تناسى الشاعر التشبيه وحذف المشبه وهو "الرسول ﷺ" وادعى أنه هو عين المشبه به وهو "البدر" على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة.

وهذه الاستعارة أتت من قبيل شيء محسوس لمعقول حيث ألبس المستعار له أحاسيس المستعار منه ليكشف مظاهر الجمال والكمال التي تحلى بها الرسول الأمين عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ونكتة أخرى تزيد من قيمة الاستعارة إضافة كلمة "الدجى" إلى "البدر" التي تدل على الليل المظلم، فكأن الممدوح جاء والناس في وهد من الجهل والكفر والضلال، فأرشدهم إلى العلم والإسلام، اضطر الشاعر إلى ذاك ليؤكد ثبوت الصفة في الممدوح، ويزيدها إيضاحا وبيانا حتى لا يترك مجالا للشك في نفس الجاهل والمنكر.

فكأن الشاعر أدرك أن هذه الشخصية العظيمة شخصية الرسول ﷺ لايدرك أحد كنهها فلجأ إلى الاستعارة ليقرب للقارئ شيئا من سماتها، فأنه ﷺ جماع الخير والبركة، لذلك استعار له كلمة "الغيث" التي تفيد المطر الذي يأتي عند الحاجة إليه، ويأتي دائما ملائما نافعا غير مؤذ ولو كثر،

فاستعملها الشاعر في الرجل المبارك مجازا، والعلاقة بينهما المشابهة، في أن كلا منهما يأتي بما فيه صلاح الأمة والحياة، والقرينة التي تمنع الذهن من أن ينصرف إلى المعنى الوصفي للفظ حالية، ثم تناسى الشاعر التشبيه وحذف المشبه الذي هو الرجل المبارك ﷺ، وادعى أنه هو عين المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة.

والبعد البلاغي من اختيار هذه اللفظة (الغيث) من بين الألفاظ الكثيرة قريبة من هذا المعنى مثل: الطل، والندى، والرذاذ، والودق، والوابل، والرشف، إلى غير ذلك من أسماء المطر، أنه كما بين العسكري قائلا: الغيث المطر الذي يغيث من الجدب، وكان نافعا في وقته، والمطر قد يكون نافعا وقد يكون ضارا في وقته، وفي غير وقته،[1] ويقول أبو حنيفة: سمي الغيث غيثا لأنه يحيي" ومعاني اللفظة كلها تعود إلى الخير والبركة، فمن نظر بعين البصيرة إلى عصر ما قبل البعثة علم أن الناس بحاجة ماسة إلى قوت يغذي أرواحهم فتحيي به قلوبهم، فجاء الرسول الأمين الكريم فعم خيره جميع العالم، فبهذا يمكن القول بأن الاستعارة وقعت موقعا حسنا، وأن الشاعر موفق فيها.

وإذا تؤمل جمال الصور الاستعارية هنا يبدو أن الغرض الأساس من هذه الاستعارة هو الكشف عن الأوصاف الباهرة الجليلة، والشمائل النبيلة التي تحلى بها عليه الصلاة والسلام من رفعة وشرف وصفاء وسخاء، وكمال وجمال، وغير ذلك من الأوصاف الإيجابية، وما لرسالته من قوة

[1]- أبو هلال، العسكري الفروق اللغوية، ص: ٣٩١.

وتأثير بالغ في طمس الكفر والشرك والضلال، ولاشك أن الاستعارة قدأدت رسالتها على الوجه المطلوب.

الاستعارة المكنية:

يبدو أن الشاعر مفتتن بهذا النوع من الاستعارة، حيث وردت أربع عشرة صورة، تأتيه عفوا بلا تكلف ولا تصنع، اقرأ قصيدته المرثية على عمه الأستاذ عبدالله بن فودي ﷺ حيث يقول:

إِنَّ الرَّزِيـــــــةَ لاَ رَزِيَّـــــــةَ مِثْلَهَـــــــا زِرْءٌ غَـــدَا ٱلإِسْـــلاَمُ مُنْثَلِمًـــا بِـــهِ
خَطَـــبٌ جَلِيـــلٌ حَـــلَّ مِـــنْ فَقْـــدِ الَّـــذِي فِي الْعِلْـــمِ لَـــيْسَ لَـــهُ أَخٌ مّـــن مُشْـــبِهِ
وَعَفَـــتْ مَـــدَارِسُ لِلْعُلُـــومِ وَأَوْحَشَـــتْ أَرْكَانُهَـــا مِـــنْ فَقْـــدِ قَاضِـــي نَحْبِـــهِ
تَبْكِـــى فنُـــونُ الشَّـــرْعِ مِـــنْ فُقْدَانِـــهِ لاَسِـــيَّمَا التَّفْسِـــيرُ جَـــادَ بِسَـــكْبِهِ
عِلْـــمُ الْحَـــدِيثِ الْفِقْـــهَ وَالْفَتْـــوَى بِـــهِ وَالنَّحْـــوَ وَالتَّصْـــرِيف لاَنَ بِجَنْبِـــهِ
عِلْـــمُ الْبَيَـــانِ كَـــذَا اللُّغَـــاتِ بَكَـــتْ لَـــهُ وَالْعِلْـــمُ مَـــاتَ لِفَقْـــدِهِ فِي صَـــوْبِهِ
فَالنَّـــاسُ فَوْضَـــى مَـــا لِـــدَاءُ جَهَالَـــةٍ رَاقٍ لَّهُـــمْ أَوْ مَـــنْ يَطِـــبُّ بِطِبِّـــهِ[1]

وأنت تصادف في هذه الأبيات استعارات متتابعة، وصدق المشابهة بين المشبه والمشبه به في تصوير المعاني، وإلباسها ثياب كائن حي متحرك تبرز فيه الأحاسيس النفسية والوجدانية، والحركات الفكرية للعناصر الحية، فترى مدارس العلوم في صورة حيوانات وحشية تفزع وتزعر لحلول النوازل، أو ترى العلوم الشرعية من التوحيد، والحديث وأصوله، والفقه وأصوله، تتمزع حزنا وتبكى على أنها فقدت جبلا يقوم برعايتها حق قيام، وخاصة التفسير كان أكثر الفنون شكوًى وبكاءًا، بل حتى الفنون الأدبية والعلوم

[1]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٣٢.

اللغوية من البلاغة والنحو والتصريف، بكت بكاء الولد الحزين على الأب الحنون، لما بدا لها من آيات نبوغه، وبوادر نباهته، في ميدن العلوم اللغوية والشرعية، وزبدة القول وخلاصته إن العلم قد ذهب بذهاب هذا العالم العلامة الحاذق الفطن الذي لا يرجع عهده فيما يتوقعه الشاعر، فالناس سيظلون في بلوى الجهل ومرضه إلى الأبد حيث لايجدون طبيبا يصف لهم دواء الأمراض المادية والمعنوية.

وقد تعاقبت الصور المجازية في هذه الأبيات، فالاستعارة تقع عند قوله: "مدارس العلوم أوحشت أركانها" صيغة مجازية تنطوى على تشبيه المدارس المكونة من أعمدة ولبنات بإنسان أو أي كائن حي محسوس خائف، فصارت الأركان-بذلك- صورة حية محسوسة، عن طريق التشبيه، لكن الشاعر تناسى التشبيه وادعى أن المشبه كان من جنس المشبه به المحذوف، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "أوحش" للدلالة على المبالغة والاتحاد في التشبيه جريا وراء الاستعارة المكنية التخييلية.

وفي عجز البيت صورة مجازية- أيضا- تتمثل في تصوير التفسير بإنسان يبكي بكاء مراقب يجري خلاه بدموعه الكثر، لكن الشاعر تناسى التشبيه وادعى الاتحاد بين المشبه والمشبه به، حيث حذف لفظ المشبه به (الإنسان الباكي) وأثبت للمشبه لازم المشبه به وهو "البكاء" على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية.

ومثل ما قيل في الاستعارة الثانية، يقال في صدر البيت السادس من تشبيه العلوم اللغوية بكائن حي له عاطفة يحس بها الفرح والحزن لحلول

النوازل والمصائب، لكن الشاعر أخرج علوم اللغة والأدب من ربقة المعاني إلى الحيوان الناطق، فحذف هذا الحيوان الناطق، وزعم أن المعنوي حيوانٌ ناطقٌ ذو انفعال وإحساس، وجعل علامة تدل على المحذوف وهي "البكاء" تطبيقا للاستعارة المكنية التخييلية.

وفي عجز البيت الرابع استعارة أخرى عند قول الشاعر: "والعلم مات" فالجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) هنا –صيغة مجازية تتمثل في تشخيص العلم وبث الروح فيه فإذا هو يتحرك بين الناس بالخير والبر، فالمقصود إذا تشبيه العلم بـ"إنسان نحرير" ينفق علمه ليلا ونهارا، ويختلف إليه الطلاب من مختلف النواحي، لكن الشاعر تغاضى الطرف عن التشبيه، وحذف لفظ المشبه به وهو "الإنسان النحرير" وادعى أن المشبه هو عين المشبه به المحذوف، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "الموت" للدلالة على المبالغة والاتحاد في التشبيه، تطبيقا للاستعارة المكنية التخيلية.

ويبدو أن الشاعر استقى هذه الفكرة من قول الرسول عليه الصلاة والسلام "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ولكن ينتزعه من العباد بقيض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا".[1]

هذه هي الصور الفنية التي استند إليها الشاعر لتحمل إلى المتقلى حال العلم وطلابه عند غياب الشيخ عبدالله بن فودي فطلاب علوم الشريعة والفنون الأدبية في حزن شديد، وبكاء وعويل لما يتوقعوه من

[1]- صحيح البخاري، رقم الحديث (١٠٠) مؤسسة زاد للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م ص: ٢٧.

انصراف العلم عنهم انصرافا كليا، ولكن الشاعر لايرسم لوحته بهذه الألوان الواضحة، وإنما يعتمد إلى التظليل وراء هذه الصور الرائعة، فالمشبه به قد أخفي وراء هذه الظلال الفنية الجميلة مع الإشارة إليه بشيء من لوازمه وخصائصه على سبيل الاستعارة المكنية التخلية.

ولا شك أن هذا التعبير بهذه الصور أدى غرضه المنشود الذي هو اظهار التحسر والقلق لفقد الراحل، وبيان ما اتصف به من المعارف اللدنية، والحقائق العلمية التي يبثها على طلاب العلم في ليله ونهاره.

وقد ذاق الشاعر مرارة ألَم فراق الأحباب والأقارب من الأعمام والعمات فصور أن الدهر عدو له يصول عيله ويحاربه ويغلب عليه فقال:

أَيَا دَهْرًا لَنَا عَاتِ * تَوَلَّى بِالرَّزِيَّاتِ[1]

فأنت ترى الشاعر عن طريق الخيال يتصور المعقول رجلا طاغية شجاعا يصول عليهم بالفتك والغلبة والبطش، فيفصل الأمّعن ابنها الرضيع، والبعل عن زوجته، والأب الحنون عن ابنه المطيع، ثم يتولى سالما غانما لايمسه سوء ولا نصب، لكن يترك القوم في الويلات والبلابل، وكدر العيش نتيجة فساده وطغيانه عليهم.

فكلمة "الدهر" حقيقة في المدة الزمانية التي تبلغ ألف سنة أو مائة ألف سنة،[2] لكن الشاعر مال إلى الخيال حيث أضاف إلى الدهر لفظ "عات" على دعوى أن الدهر دخل عليهم بالإفساد والتجبر ومجاوزة الحد، الأمر الذي يتضمن تصويره بصورة كائن حي، لأن أصل الكلام (أيا هذا

[1]- أمير المؤمنين، محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٣٠.
[2]- قاموس المعاني، مادة (دهر).

الدهر الذي كالرجل الطاغية المفسد علينا) والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي قوله: "تولى" حيث تناسى التشبيه وحذف المشبه به وهو الرجل الشجاع الطاغية، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو "عات" على تخييل أنه صار إنسانا مفسدا متعاليا، فخرج الكلام من صورة معقولة لا تدرك بحاسة معينة إلى صورة محسوسة متحركة على سبيل الاستعارة المكنية، والاستعارة واقعة العتو إلى الدهر، فإثبات لازم المستعار منه للمستعار له استعارة أخرى تسمى بالتخيلية وهي قرينة المكنية.

ويظهر السحر البياني لهذه الاستعارة في إسناد التولي إلى الدهر لأن هذا الإسناد زاد في تناسي التشبيه، حيث إن الشاعر يجحد أنه يشبه الدهر بالإنسان ويجعل الدهر نفسه هو الإنسان.

ومن المواقف التي اتخذ فيها الشاعر الاستعارة المكنية سُلما في توضيح درجة ممدوحه ورفعة قدره ما يقوله:

خَدَمْتُهُ الْعُلاَ وَخَصَّتْ ذُرَاهُ * كُلُّ عَلْيَاءَ كَالخَدِيمِ اللَّبِيبِ[1]

يرى الشاعر ممدوحه شريف النسب، رفيع القدر ذا رأي صائب، مطاع في قومه وتذعن القلوب عند أمره، وتنتهي النفوس بنهيه، وخدامه أرباب النهي، متفضلون بالطاعة كالخادم اللبيب مع سيده الأمير.

وتنعقد من خلال قوله: "خدمته العلا" صورة مجازية حيث جسد "العلا" على الرغم من أنها معنى من المعاني التي لا تدرك بالحواس ويجعل المتلقى بخياله المرهف– أن يراها أمامه تتحرك، تقبل وتدبر في شأن ممدوحه

[1]- أمير المؤمنين، محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٢٨.

كالخادم المطيع اللبيب الذي لايخالف أوامر سيده، ثم يتناسى الشاعر التشبيه حيث حذف لفظ المشبه به، وهو "الأناس"، ورمز لهم بشيء من لوازمهم وهو "خدمته" على سبيل الاستعارة المكنية التخيلية.

والسر البياني من هذه الاستعارة يكشف للقارئ مدى ما تحلى به الممدوح من المعالي وصنوف المجد، وأنواع الفضل هو، وذريته بحيث لا تتقطع عن عائلته إلى عائلة أخرى، فبقاؤه على هذه الهيئة من الشرف والمجد وعلو الكعب هو الذي ألجأ الشاعر إلى هذا الصنف من التشبيه.

فكأن الشاعر خاف على نفسه أن يظن متظان أن الشرف والفضل الذي اتصف به ممدوحه بدأ منه ومن يليه فأدرك هذا الظن المغلوب وأثبت أن الممدوح نبت من سلالة طيبة، حيث ورث المجد والشرف كابرا عن كابر استمع إليه يقول:

وَارِثَ الْهدى وَالْمَعَالِمِ وَالعَا * لِي عَلَى كُلِّ مُفْلِقٍ وَمُصِيبِ[1]

يقول إن هذه الصفات المثلى من فضل وكرم وشرف ما بدأت بممدوحه إنما ورثها كابرا عن كابر، فآباءه وأجداده أبًا وأمًّا شرفاء متصفون بنعوت المجد والشرف، والعلم والتقوى ولا يعلوه أي مُفْلِقٍ في الاتصاف بالأخلاق الإيجابية والآداب السامية.

انظر كيف شبه الشاعر الهدى والمعالم بتركة يتركها السلف للخلف، ويتناسى الشاعر التشبيه ويحذف لفظ المشبه به وهو "التركة" ويكنى بذكر

[1]- أمير المؤمنين، محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٢٩.

لازم من لوازمه وهو "ورث" جريا وراء الاستعارة المكنية، ثم أثبت هذا اللازم للمشبه وهو "الهدى" وهذا هو الاستعارة التخييلية الملازمة للمكنية.

ومن الملاحظ أن الشاعر لم يقل إنه (الممدوح) تعلم العلا من آباءه وأجداده، أو أنهم أرشدوه إلى معالي الأمور، وربوه عليها، فإنه لو قال ذلك لأخرج الكلام عن ديباجة الفصاحة، ولماكان له ميزة على الإنسان العادي، إذا المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمى والقروي، والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيير اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجوده السبك، لذا انزاح عن أن يرسم لك الكلام بصورة واضحة، ولاذ إلى الأسلوب الاستعاري، ويصف الهدى والمعالي بشيء موروث يرثه الوارثون، ليؤكد ثبوت الصفة ولزومها مع الممدوح.

وقد مدح الشاعر المحبوب الأعظم-عليه الصلاة والسلام-حيث لجأ إلى مثل هذا الضرب من الاستعارة لتصوير بعض صفاته الخلقية قائلا:

سَمْحٌ كَرِيمٌ عَاتِكٌ[1] مُتَوَاضِعٌ * نُورُ الْهُدَى ذُو الجَدِّ قَطُّ مَا أَفْنَكَا[2]

وَرَثَ السَّمَاحَةَ عَنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ * وَالْكُلُّ مِنْ أَجْدَادِهِ أَبْلَنْدَكَا[3]

يرى الشاعر أن الرسول ﷺ متصف بالشمائل النبيلة، والأخلاق الحميدة، التي من أجلها دخل كثير إلى الدين الإسلامي، ومن هذه الأخلاق التي اتصف بها الرسول، الكرم والجود، والتواضع على أصحابه

[1]- عاتك: الكريم، والعاتك: الخالص من الألوان والأشياء، المعجم الوسيط، مادة عتك.
[2]- الفنك: العجب والكذب، والمراد به هنا ما أفنك، أي لمك يكذب قط، المرجع السابق، مادة فنك.
[3]- أمير المؤمنين، محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٩٠.

9، ثم قال إن الشمائل لم تكن مكتسبة منه بل إنها لوراثة ورثها عن آبائه وأجداده إذ كل واحد بحر في العطاء الكثير والبذل الغزير.

وعند التأمل تجد أن الاستعارة وقعت عند قول الشاعر:"ورث المسماحة" حيث إن الشاعر شبّه السماحة بالتركة، وأصل الكلام "السماحة عنده كالتركة"، ثم حذف المشبه به "التركة" فصار ورث المساحة على تخيل أن السماحة قد تمثلت في صورة تركة، ثم رمز للمشبه به المحذوف بشيء من لوازمه هو "ورث" الذي هو القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

وزاد الاستعارة رونقا وجمالا قول الشاعر: "عن أبيه وجده" حيث تناسى كليا أن السماحة شيء يشبه التركة، وزعم أنها التركة بعينها ليؤكد ثبوت الصفة مع الممدوح وأهله، ولاشك أن هذه الاستعارة أدت غرضها الأساس وهو إثبات صفة الكرم والجود مع الممدوح.

ومن أحسن ما نسجه خيال الشاعر في دقة التشبيه ادعاءه أن الغرام مدين عليه بدَين ألح عليه بالقضاء والوفاء والإظهار نحو المحبوب حيث يقول:

ذِكرُ الْحَبِيبِ ضَنًى يَضْنِي وَيَبْتِلُ مَن * يَهْوِى فَيُلْقى إِذَا مَارِئَ ذَا سَقَمِ
إِذَا تَقَاضِي غَرَامِى أَن أَبُوحَ بِهِ * قَضَى عَلَيَّ الهَوَى بِالْكَتَمِ بِالذِّمَمِ
كَم قَدْ كَتَمْتُ الهَوَى لَمْ يَكْتَتِمْ فَبَدَا * كَالشَّيْبِ يُعْلَفُ بِالْحَنَّاءِ وَالْكَتَمِ[1]

[1]- أمير المؤمنين محمد بلو، المصدر السابق، ص:٨١.

يقول الشاعر :لا يزال ذكر الحبيب يراودني في خلجات قلبي، ويلازمني في الغدْوة والروحة، وفي الصباح والمساء ولا يفارقه الحب في كل الأوقات والأزمان، حتى دنف وضنى، واضمحل جسمه وزبل، إذ أنه لم يبح به، وكلما أراد أن يفشيه وجد نفسه غير قادر على الإظهار فيزداد اشتياقه لهيبا واحتراقا، فيكون مبتول القلب والبدن، فاشتاقت نفسه إلى افشاء سره شفقة عليه وترحما له إذ أنه كما يقولون "راحة المكروب أن يفشي" فكأن الشاعر ضجر من هذا التعفف، ومال إلى الإفشاء، ويقول: إن أبديت هواي نحو الحبيب فليس ذلك بدعا منى فلَطَالما حاولت كتمان الهوى ولَفِّه عن عيون الحبيب فلا يطاوعني إلا الظهور الواضح.

ومهما يكن عند امرء من خليقة * وإن خالها تخفي على الناس تعلم

ويبدو أن الاستعارة وقعت في البيت الثاني في الإسناد والتعلق حيث اسند فعل تقاضي إلى الغرام تشبيها بالرجل الدائن الذي ألحَّ على المدين أن يقضيه دينه، ثم حذف المشبه به وهو "الإنسان" ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "تقاضي" على سبيل الاستعارة المكنية التخيلية.

ولعلك تدرك جمال الاستعارة في تشبيه الغرام والحب الذي أضنى صاحبه من كثرة الشوق إلى لقاء المحبوب ليبوح به سر قلبه بالدائن الملح الذي لاينظر إلى المدين إلى ميسرة، بل دائما يراجعه ويتقاضاه بكثرة السؤال، ودق الباب، وكذلك الغرام الذي لايفارق نفسه ولا يغيب عن قلبه في جميع الأوقات، فهذا التشابه بين الحالتين تشابه لايدركه إلا الشاعر

الذي أوتي خيالا ساميا، وفكرا عميقا يعينه على اكتشاف التشابه الدقيق بين الأمرين.

ومما وظفه الشاعر من الاستعارة المكنية في الديوان قوله في رثاء الشيخ المجدد عثمان بن فودي:

فَدَعِ الْعُيُونَ تَجُودُ دَهْرًا سَرْمَدًا * بِدُمُوعِهَا وَتُشَقِّقُ الأَكْبَادُ

حُزْنًا عَلَى نُورٍ أَضَاءَ بِأَرْضِنَا * وَهُوَ الْهُدَى فِي الدِّينِ وَالْإِرْشَادِ[1]

يرثي الشاعر والده ومربيه الشيخ عثمان بن فودي، فصور نفسه قائما يفيض الدموع حزنا على فقد والده وشيخه، فتخيل أن هناك شخصاً بجنبه يعاتبه ويمنعه عن البكاء، فأخذ يرد عليه قائلا: اترك ياصاح- العيون تجود بدمعها الهطال طول الزمان، وتشقق أكباد الأحبة، كيف وقد فقدت من عمَّ خيره وعلمه هذه البلاد، وهو النور الذي أخرج الناس من دجى الجهل والشرك والضلال إلى نور العلم والهداية والرشاد.

وهذا الصنيع صنيع الأدباء منذ العصر الجاهلي يبكون على فقيد في فاتحة قصائدهم الرثائية، أنظر مثلا إلى قول الخنساء ترثي أخاها صخرا:

ياعين جودي بالدمو * ع فقد جفت عنك المراود

وأبكى لصخر إنه * شق الفؤاد لما يكابد

ومحل الشاهد من الأسلوب الاستعاري في البيت الأول قول الشاعر: "فدع العيون تجود"، حيث شبّه العيون بإنسان كريم سخي ينفق أمواله للقريب والبعيد، والسائل والمحروم، ثم تناسى التشبيه فحذف المشبه به وهو

[1]- أمير المؤمنين، محمد بلو، المصدر السابق، ص: ٤٣.

"الإنسان" ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "الجود والكرم" وأثبت ذلك للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية التخيلية.

الفصل الخامس:

المجاز

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم المجاز المرسل وعلاقته:

إذا كانت الاستعارة تقوم على أساس فكرة المشابهة من ناحية نقل الاسم عن أصله إلى غيره لعلاقة التشبيه للمبالغة، فإن المجاز المرسل "هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين..."[1]

ويعرفه الخطيب القزويني بأنه: "ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه، وذلك مثل لفظة "اليد" إذا استعملت في معنى "النعمة" لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها".[2]

واشترط الإمام عبدالقاهر الجرجاني في ذلك أن يكون في الكلام إشارة إلى مصدر تلك النعمة وإلى المولي لها، فلا يقال: اتسعت "اليد" في البلد، او افتنيت "يده" كما يقال: اتسعت النعمة في البلد، أو افتنيت نعمة وإنما يقال: جلت "يده" عندي، وكثرت أياديه لدي ونحو ذلك.

وسمي المجاز المرسل مرسلا لأنه أرسل عن دعوة الاتحاد المعتبرة في الاستعارة إذ ليست العلاقة بين المعنيين المشابهة حتى يدعى اتحادهما، أو لإرساله عن التقييد بعلاقة واحدة التي هي المشابهة.

---

[1]-- الدكتور بسيوني فيود عبدالفتاح، المرجع السابق، ص: ١٢١.
[2]- الخطيب القزويني، التلخيص، ص: ١٢١.

ومعنى علاقة المجاز المرسل: أن يكون هناك تلازم وترابط يجمع بين المعنيين ويسوغ استعمال أحدهما في موضع الآخر، وهذه العلاقات كثيرة أشهرها ما يلي:-

١- **السببية**: وذلك إذا كانت الكلمة المذكورة التي استعملت في غير ما وضعت له سببا في المعنى المراد من القول، مثل: "رعينا الغيث" فإن المراد من هذا القول أنهم رعوا النبات، فكلمة (الغيث) استعملت في غير ما وضعت له، ولكن هذا الغيث سبب في النبات، وهذا ما سوَّغ المجاز في هذه الكلمة."[١] وقرينة المجاز في مثل هذا التعبير هو إبراز مدى أهمية الغيث وفرحهم به، وأثره في نفوسهم حتى كأنه هو المرعى لا النبات.

ومنه قوله تعالى: "الٓسٓجۡدَةِ الأَحۡزَابِ سَبَإٖ فَاطِرٖ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٖ فُصِّلَتۡ الشُّورَىٰ الزُّخۡرُفِ "[٢] فالمراد بالسيئة الثانية الجزاء والقصاص الذي يتسبب عن السيئة فهو إطلاق السبب وإرادة المسبب على سبيل المجاز المرسل... ويجوز حمل الآية على الحقيقة على اعتبار أن المراد بالسيئة الثانية ما يسيئ الجاني ويؤذيه، لأن إجزاء السيئة مهما كان عدلا فإنه يسيء إلى الجاني ويؤذيه.

٢- **المُسَبَّبِيّة**: وذلك كأن يذكر المسبب ويراد السبب بأن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور مسببا عن المعنى المراد فيطلق اسم المسبب على السبب وذلك نحو: أمطرت السماء نباتا، أي ماء فذكر المسبب (نبَاتًا)

[١]- أ. د. فضل حسن عباس، المرجع السابق، ص: ١٧٧.
[٢]- سورة الشوري، الآية: ٤٠.

وأرادو السبب "ماء" فهو مجاز مرسل علاقته المسببية"[1] ومنه قوله تعالى: (الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ)[2] معروف أن الله يكرم عباده بإنزال الماء من السماء وهذا الماء يكون سببا في الرزق، فالرزق مسبب عن الماء، ومنه قوله تعالى (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ)[3] فالمجاز في الآية الكريمة هو لفظة، "نارا" أي: مالا تتسبب عنه النار عقابا، فهنا أطلق لفظ المسبب "النار" وأريد به السبب "المال" وهذا مجاز مرسل علاقته المسببية.

٣- **الجُزئية**: وهي تسمية الشيء باسم جزئه، وذلك بأن يطلق الجزء ويراد به الكل. أو بعبارة أخرى: أن يذكر في الكلام الجزء ويقصد الكل. كقول من يخطب امرأة "طلبت يدها" فالطلب لم يكن في الواقع ليدها فقط بل لها كلها، ومعنى الكلام، أنه طلبها للزواج.[4] ومنه قوله تعالى في شأن سيدنا موسى عليه السلام "فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن..." وتقر عينها: أي تهدأ، فالمجاز وقع في لفظة "عينها" والذي يهدأ هو النفس والجسم لا العين وحدها، ولهذا أطلق الجزء "العين" وأريد به الكل وهو النفس والجسم، وهذا مجاز مرسل علاقته "الجزئية" ومنه قول الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني[5]

---

[1]- الدكتور بسيوني عبدالفتاح، المرجع السابق، ص: ١٢٤.

[2]- سورة غافر،ا الآية: ١٣

[3]- سور النساء: الآية: ١٠

[4]- الدكتور ديريرة سنغل، علم البيان بن النظريات والأصول، دار الفكر بيروت، ط١، ١٩٩٧م ص: ١٧٠. وانظر الدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود، المرجع السابق، ص: ١٢٠.

[5]- أبو الفضل، أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، دار المعرفة ج٢، ص: ٢٠

فقد ذكر الشاعر القوافي والقافية وأراد بهما: القصائد والقصيدة مجازا مرسلا علاقته الجزئية، حيث ذكر الجزء وأراد الكل.

هذا، ويشترط في الجزء الذي يراد به الكل أن يكون مما جرى العرف على استعماله في الكل، أو يكون لهذا الجزء اتصال وثيق بالمعنى المراد، فقد سمى القرآن الكريم الصلاة قياما أو سجودا، لأنهما ركنان أساسيان من أركانها كما يسميها ذكرا أو ركوعا، قال تعالى: "فَطِفِقَ يَبۡنَ ٱلصَّنَافَاتِ ضِرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ فَصَلَّتۡ "[1] وكل هذه أساسيات في الصلاة، ولم يرد في القرآن الكريم تسمية الصلاة تشهدا أو بسملة أو جلوسا...وبهذا يتضح أن الجزء المعبر به عن الكل، يجب أن يكون له اتصال وثيق، ومزيد اختصاص بالمعنى والسياق... وقد عبر عن الإنسان بأجزاء مختلفة منه، فتراه مرة رقبةً، ومرة عينًا، ومرة وجهًا، ومرة كفًّا، ومرة قدمًا، ومرة قلبًا، ولا يصلح جزء من هذه الأجزاء مكان الآخر لاختلاف السياق الذي يقتضي هذا الجزء دون ذاك.[2]

٤-الكلية: وهي أن يذكر الكلام الكل ويقصد الجزء، كقول القائل: شربت ماء النهر، وهو لا يستطيع أن يشربه بكامله بل إنه يشرب جزءًا منه فحسب، ومنه قوله تعالى: "أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ..."[3] وقوله عز وجل: "ٱلذَّٰرِيَٰتِ ٱلطُّورِ ٱلنَّجۡمِ ٱلۡقَمَرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلۡوَاقِعَةِ ٱلۡحَدِيدِ ٱلۡمُجَٰدِلَةِ ٱلۡحَشۡرِ ٱلۡمُمۡتَحَنَةِ ٱلصَّفِّ ٱلۡجُمُعَةِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ٱلتَّغَابُنِ "[4]

---

[1]- سورة آل عمران، الآية: ٤٣.
[2]- الدكتور بسيوني عبدالفتاح، المرجع السابق، ص: ١٩٧.
[3]- سورة البقرة الآية: ١٩.
[4]- سورة نوح الآية: ٧.

فقد عبر بالأصابع في الآيتين وأراد الأنامل من باب إطلاق لفظ الكل على الجزء مجازا مرسلا علاقته الكلية... والسر البلاغي في العدول عن الحقيقة إلى المجاز في الآيتين هو رغبة القوم في تعطيل حاسة السمع بأقصى ما يمكن مبالغة فيما يشعرون من هول الصواعق وفظاعتها في الآية الأولى، ومبالغته في إعراضهم عن الحق في الآية الثانية، والقرينة استحالة وضع الإصبع كلها في الأذن عادة.[1]

٥- اعتبار ما كان:أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه[2] نحو قوله تعالى: وآتوا اليتامى أموالهم..."[3] أي الذين كانوا يتامى. وتفصيل ذلك أن اليتيم في اللغة العربية هو الصغير الذي مات أبوه، والأمر الوارد في الآية الكريمة ليس المراد به إعطاء اليتامى الصغار أموال آبائهم، وإنما الواقع أن الله يأمر بإعطاء الأموال من وصلوا سن الرشد والبلوغ بعد أن كانوا يتامى، فكلمة "اليتامى" هنا مجاز مرسل استعملت وأريد بها الراشدون من كانوا يتامى، وعلاقة هذا المجاز اعتبار ماكان قبل ذلك، والقرينة الأمر بدفع أموالهم إليهم لاستحقاقهم التصرف فيه.

٦- اعتبار ما يكون:هو أن تعبر عن الشيء باسم ما يئول إليه في المستقبل[4] كقوله تعالى في قصة نوح: "المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبإ النازعات عبس التكوير الانفطار "[5]. فالمولود كما ثبت في الحديث يولد

[1]- راجع الدكتور بسيوني عبدالفتاح : المرجع السابق، ص: ١٢٩.
[2]- الدكتور عبدالعزيز عتيق، المرجع السابق، ص: ١٦٢.
[3]- سورة النساء ٢٠.
[4]- الدكتور بسيوني عبدالفتاح، المرجع السابق، ص: ١٣٠.
[5]- سورة نوح، ٢٨،

على الفطرة مؤمنا نقيا سواء أكان ابواه مؤمنين أم كافرين، والمراد بـ"فاجرا كفارا" في الآية أي ما يلده الكفرة سيئول إلى ذلك في المستقبل.

٧- المحلية: وهي أن يذكر لفظ المحل ويراد الحال فيه، نحو قوله تعالى: " إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ "[1] فالمراد – والله أعلم- اسأل أهل القرية وأصحاب العير، فسمى الحال باسم محله مجازا مرسلا، وفي العدول عن الحقيقة إلى المجاز إشارة إلى ذيوع أمر السرقة واشتهارتها " سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آلِ عِمْرَانَ "[2] إلى درجة أنه لو سئلت القرية والعير أي الجمادات والحيوانات لنطقت بها وأجابت.ومنه قول الشاعر:-

إن العدو وإن تقادم عهده * فالحقد باق في الصدور مغيب

فالمراد بالصدور: القلوب التي تحل بها تسمية للشيء باسم محله على طريق المجاز المرسل ذي العلاقة المحلية.

٨- الحالية: وهي أن يكون اللفظ المستعمل حالا في المعنى المراد، فيطلق اسم الحال ويراد المحل،[3] كما في قول الله تعالى: (الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ)[4] فالمراد من الآية الكريمة أنهم خالدون في الجنة، ولكن لما كانت الجنة محلا للرحمة، والرحمة حالة في الجنة، حسن أن يجعل أحد المعنيين محل الآخر، أو إحدى

[1]- سورة يوسف، ٧٢
[2]- سورة يوسف ٨٠
[3]- أ.د. فضل حسن عباس، المرجع السابق، ص: ١٨٢.
[4]- سورة آل عمران: ١٠٧.

الكلمتين محل الآخرى، وكذلك قوله تعالى: (﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ ﴾)[1] فالمجاز في الآية الكريمة وقع كلمة "نعيم" والنعيم لايحل فيه الإنسان لأنه معنى من المعاني، وإنما يحل الإنسان في مكانه فاستعمال النعيم في مكانه مجاز مرسل أطلق فيه الحال وأريد المحل، فعلاقته "الحالية".

السر البياني للمجاز المرسل:

يأتي المجاز المرسل لتحقيق أسرار متنوعة، وإفادة أغراض بلاغية متعددة أهمها ما يلي:-

- الإيجاز، فقول القائل "رعينا الغيث" أو جز من قول: رعينا النبات الذي كان الغيث سببًا في نموه واحضراره، فقد طوى المسبب وذكر في موضعه السبب.
- المبالغة: كما في قول الله تعالى: (جعلوا أصابعهم في آذانهم)[2] فقد ذكرت الأصابع في موضع الأنامل مبالغة في تعطيل أسماعهم لشدة عتوهم ونفورهم وإعراضهم عن الحق.
- يفسح مجال التعبير أمام الأديب أو المتكلم، فعن طريق المجاز يستطيع أن يتخير الألفاظ الملائمة للقافية أو الفاصلة، وأن يتجنب الألفاظ التي تخل بفصاحة الكلام، فيترك الحقائق ويتسعمل المجازات حتى يسلم تعبيره مما يخل بفصاحته.

[1]- سورة الانفطار، ١٣.
[2]-

- يعين المتكلم على تحقيق ما يهدف إليه من أغراض، كالتعظيم والتحقير والتهويل وغير ذلك، تقول: رأيت العالم، تقصد: رأيت طالب العلم الذي سيصير عالما، فأنت تعظمه وترفع من شأنه.
- وجماع ذلك كله إنشاء الخيال، إذ المجاز المرسل لايخلو من خيال يعرض للسامع عندما تمر بذهنه المعاني الحقيقية لتلك الألفاظ التي سرعان ما تتلاشى أمام المعاني المجازية المقصودة، وهذا الخيال يحقق الجمال، وإمتاع النفس التي ترى النبات والرزق بمختلف صنوفه يتدفق من السماء، وهذا يأكل دما ويمضغه بأسنانه، وذاك يأكل نارا فتكون بها أحشاؤه، هذه الصور تفطر في النفس فور سماع جملها وهي وإن كانت تزول سريعا أمام المعنى المراد بنصب القرينة إلا أنه بخطورها يتحقق إمتاع النفس وإثارة الذهن فتقع المعاني في النفس موقعها... إلى ذلك من الأغراض البلاغية ولأسرار واللطائف التي تكمن وراء أساليب المجاز المرسل.[1]

[1]- الدكتور بيسيوني عبدالفتاح، المرجع السابق، ص: ١٣٧- ١٣٨.

المبحث الثاني:

من صور المجاز المرسل في الديوان:

يحاول الباحث في هذه السطور عن يصدر لمحة عن صور المجاز المرسل الذي ورد في الديوان، حيث إن الشاعر اتخذه طريقة للتعبير عما يجول في خلجات قلبه، ليكشف للمتلقي خيالاته الذهنية في معان أصلية.

ومن تصويرات الشاعر أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو المنصبة في قالب المجاز المرسل ما يقول في الشيخ السيد المختار الكنتي إثر وفاته في ذكر مناقبه وشمائله حيث يقول:

سَادَ بَلْ شَادَ ذِكْرُهُ فِي الْبَرَايَا * فَلَهُ فِي الْعَلاَءِ كُلَّ الْعَجِيبِ

وَتَمَنَّتْ مَشَارِقُ ٱلأَرْضِ مِنْهُ * مَابِهِ الْغَرْبُ حَازَ كُلَّ نَصِيبِ[1]

يذكر الشاعر أن الممدوح ذو مكانة اجتماعية، ودينية، وعلمية عالية، انتشر ذكره في العالم كله، وذاع صيته في العرب والعجم، إذ هو صاحب الكرامات الباهرة العجيبة، حتى اغتبطت البلاد الإسلامية في شرق الجزيرة العربية على المغرب العربي أن لو كان الشيخ الرحل معهم حسا ومعنًا اعترافا بعلو كعبه وشرفه في الدين والعلم.

وعندما تقف على البيت الثاني تجد صورة مجازية مرسلة اعتمد عليها الشاعر في التعبير عما في ضميره، وعلاقة هذا المجاز المرسل المحلية وهي أن يذكر اسم المحل ويراد الحال فيه، وذلك في قوله: "تمنت مشارق الأرض" في صدر البيت، فالمشرق هو جهة شروق الشمس، فالمشارق اسم معنوي

[1]- المصدر السابق، ص: ٢٨.

لايتمنى شيئا حقيقة وإنما الذي يتمنى هو سكان الوطن، إذ الإحساس بالتمني من صنع الكائن الحي العاقل، إذا فالمراد بالمشارق أهلها، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، لجوء إلى الإيجاز والاختصار، واستخدام الخيال الخصب.

ومثل ذلك واقع في عجز البيت في قول الشاعر: "ما به الغرب حاز كل نصيب" والغرب بفتح الغين وسكون الراء يعني جهة غروب الشمس، والبلاد الواقعة فيه، وهي تقابل بلاد الشرق، لكن الشاعر أعمل الخيال فجعلها تمتلك استنادا إلى المجاز المرسل، إذ البلاد لا تمتلك، وهي ذاتها ملكا للكائن الحي، فالمراد بالغرب إذًا أهل الغرب، فسمى الحال، وهو "أهل" باسم محله، جريا وراء المجاز المرسل علاقته المحلية.

فالجمال البياني الملموس من هذه الصورة هو إلحاح الشاعر على استخدام هذه الصورة فأورد في البيت "الطباق" الذي هو الجمع بين الكلمة وضدها في الكلام مثل ما حصل هنا في كلمتي "المشرق والمغرب" حيث تناسى الشاعر أن يذكر كلمة "الأهل" في الصورة الثانية كما فعل في الصورة الأولى، لكن الشاعر فعل ذلك للمبالغة والإيجاز، وهذا مما يدل على مقدرة الشاعر البيانية.

والغرض البلاغي من هذه الصورة إظهار قدر الممدوح وذيوع شرفه وشمائله لدرجة أن المباني والجمادات عامة لو نطقت لرغبت في مجالسة الشيخ، وتحزن العاطفة على فراق الشمائل التي ضمها تحت إِبْطَيه في أيام نفَسِه.

وقد تكررت مثل هذه الصورة في الديون كما في قوله:

أَلاَ أَبْلِغْ بِلاَدِي وَخَيْرَ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ * إِنَّا رَجَعْنَا بِحَمْدِ اللهِ بِالسُّولِ

إِذْ قَدْ نَصَرْنَا عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ كُلِّهِم * وَقَدْ بَلَغْنَا به مِنْ كُلِّ مَأْمُولِ[1]

تحركت عاطفة الفرح من الشاعر بالتبصر الذي كان بجانبهم في إحدى حركات المصارعة بين الأعداء وهو نصر مهم في تاريخ الجهاد الفودوي، جعل الشاعر يجذب انتباه المشيد المبلغ ويأمره بأن يشيد النصر في بلاد سكوتو ومَا جاورها ليشف صدور قوم مؤمنين الذين لم يشهدوا المصارعة ويذهب غيظ قلوبهم، ويخزى المنكرين الذين يتربصون بهم الدوائر، وأخبرهم تمام المنة التي منَّ الله علينا بما تتسوله النفوس وتحبه من الشهادة والغنائم وهما الحسنين الَّذَيْن ينتظر إحداهما المجاهدين في سبيل الله ألم يقل الله تبارك وتعالى ردًّا على المافقين الذين يتربصون بالمؤمنين: (يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ ...)[2] وهي إما النصر وإما الشهادة ولله الحمد في الأولى والآخرة.

في البيت الأول أوقع المفعول على البلاد لا على ساكن البلاد ليسلك بالكلام طريق المجاز المرسل لما بين المعنى الأصلي والمجازي من ملابسة، فيفيد معنى الشمول والعموم، ومعلوم أن الإصغاء والاستماع من صفات الكائن الحي العاقل لا المكان الجامد، ولكن الفرح الشديد الذي غمر الشاعر دفعه يعامل المكان الجامد (البلاد) معاملة الحي المحسن بالبشراة، فأصل الكلام (أبلغ أهل بلادي) ومن هنا يتضح أن إطلاق اسم

[1]- المصدر السابق، ص: ٦٠.
[2]- سورة التوبة، الآية: ٥٢.

(البلاد) على أهلها مجاز مرسل علاقته المحلية، لأنه من باب إطلاق اسم المحل على الحال فيه.

وفي هذه الصورة من السحر البياني مالا يخفي، فإن فيها اتساعًا لفظي، ألا أن التبليغ لايمكن أن يوجه في الحقيقة إلا إلى من يفطن بحلول الأشياء، وهو الحيوان الناطق العاقل، لكن الشاعر استطاع أن يشخص البلد ويجعله في زمرة من يفطن بحلول الأشياء، للمبالغة في البشرى وهذا مع أنه من المعاني المبتذلة المتداولة بين الشعراء إلا أنه خيال تستحسنه النفوس، وتعده من الجمال الفنى في البلاغة العربية خاصة، والكلام العربي عامة.

والمراثي كثيرة الوقوع في ديوان أمير المؤمنين مُحَّد بلو في شيوخه وأقاربه وأصدقائه تصور مدى وفائه لهم، ومدى إحساسه بخسارته فيهم، بل مدى ما كان يملأ قلبه من غبطة وحب نحوهم على شاكله قوله في رثاء الشيخ المختار الكنتي –رحمه الله– السالف الذكر:

فَعَلَى إِثْرِهِ تَفَانَتْ دُمُوعُ الْـ * ـخَلْقِ مِنْ كُلِّ يَابِسٍ وَرَطِيبِ

وَتَعَزَّى الوُجُودُ مِن بَعْد مَا أَشْفَى* عَلَى الْهَلَكِ بِالْخَلِيقِ النَّجِيبِ[1]

إن عظمة هذه النكبة جعل الخلائق جميعا يخلصون البكاء الحار لفقد الرحل الكنتي، فليس أصحاب القلوب الذكية الطاهرة العامرة بذكره الله تبارك وتعالى، والقلوب المضيئة بنور الإيمان والعمل الصالح هم الذين سالت دموعهم على إثر موت الشيخ فحسب، بل حتى القلوب القاسية بالمعاصي والإعراض عن ذكر الله تبارك وتعالى بكت بدمعها الهطال على هذه النكبة

[1]- المصدر السابق، ص: ٢٨- ٢٩.

العظيمة، ولم يتنفس الشاعر حتى تحدث أن وفود التعزية جاءت من أنحاء العالم تصبر الناس على هذه المأساة التي هي محنة الخلق من فقد النجيب الفاضل على مثله، النفيس في نوعه.

إن شدة المأساة والحزن العميق الذي غمر الشاعر جعله يضيف الألف واللام على الخلق ليستغرق الجنس (جنس الخلق) ويأتي بالتفصيل عن طريق ذكر يابس ورطيب رغبة في التأكيد والمبالغة بان مصيبة فقد الشيخ المرثى له لم تقتصر على فريق دون آخر، لكن الشاعر أطلق لفظ "الكل" ليدل على الجزء ليسلك بالكلام مسلك المجاز المرسل ذي العلاقة العقلية.

ويلاحظ نفس الصورة في البيت الثاني في قوله "وتعزى الوجود" إذ الذين جاوا للتعزية هم أهل بلد الشيخ وجيرانه الذين يعترفون بفضله ومنزلته لا كل من في الوجود، إذ قد يوجد من بين الوجود في بلد الشيخ من لا معرفة له بوجود الشيخ أصلا فضلا عن سائر البلدان، فهو إذا من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء على سبيل المجاز المرسل، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي عقلية.[1]

---

[1]- ولفظ "الوجود" في البيت السابق يخالف لفظ "الوجود" الذي ورد في القطعة الآتية التي من قصائد أمير المؤمنين بلو:

هم أولياء الله فازوا بحبه * وقد ذهبوا في أمره كل مذهب
مفاتيح رحماه مقاليد أمره * وسائله في الأرض والله يجتب
وهم أهل حضرته عرائس خلقه * وهم حوله من ساندين وحجب
بهم يحفظ الله الوجود بأسرهم * كما حفظوا بالغوث غوث التقطب
وإن جمعوا شملي وجادوا بنظرة * إلي فيافوزي ويا فوز مطلب[1]

إذ الشاعر هنا يشير إلى فضل أولياء الله ومكانتهم عنده، وإنه لينزل على القوم سحائب الرحمة بوجود ولي من أولياء الله ويقيهم الله المصائب والفتن بهم، وقد قال محمد بن فضيل: "ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة إمام القراء بالكوفة بعدعاصم".

والغرض البياني من هذه العاطفة إظهار الحزن العميق والتحسر على فقد الإمام النجيب السيد المختار الكنتي رحمه الله تعالى.

وكثيرا ما يستعين الشاعر بالصورة المجازية في بيان شدة اشتياقه إلى أحبابه، وكيف يذوب قلبه وجدا وكمدا على عدم لقياهم، على شاكلة قوله:

يَا قَاصِدًا نَحوَ الْهَوَى يَعْتَامُ بِي * وَيَقُودُنِي فِي لَيْلَتِي وَنَهَارِي

أَبْلِغْ تَحِيَّتَنَا لِكُنْتَ جَمِيعِهَا * لاَسِيَّمَا لِلسَيِّدِالمخْتَارِ

أَبْلِغْ تَحِيَّةَ مُشْتَكٍ زَلاَّتُهُ * الغَوْثَ مَعْ أَقْطَابِهِاْلأَخْيَارِ

وَاطْلُبْ لَنَا مِنْهُ الدُّعَاءَ فَإِنَّهُ * بِدُعَائِهِ نَرْجُو قَضَا الأَوْطَارِ

هذه القطعة مكتظة بنيران حنين ملتهب، حنين إلى الحبيب وأهله، ملتحف بحزن كثيف مديم في الليل والنهار، إذ كلما نهض لتحقيق ما تصبو إليه نفسه من الوصول وجد نفسه مكبل بسلاسل الزلات والذنوب، وكل ما يحققه هو التوق والشوق والحب العنيف الذي يندفع كالسيل ولا يستطيع كبحه، فلم يبق له إلا أن يرسل تحية التبجيل والكرم، تحية عاشق المشتاق إلى المحبوبين وهم جماعة "كُنْتَ" جميعا وعلى رأسهم السيد المختار الكنتي ويدنو الشاعر تواضعا يتواسل إلى الله تعالى في تحقيق الآمال والمنى بدعاء الشيخ المربي المختار الكنتي.

فالحقيقة أنه ليس من مقدور بشر أن يرسل التحية إلى جماعة بلد كبير مثل "كُنْتَ" أنذاك لا يتصور عقلا أن يكون جميع من في المدينة أحباب شخص معين، إنما قصد الشاعر بالتحية أفرادًا معينين، وأُسرًا

ممتازين، متصفين بالإيمان والعمل الصالح، ولكن مع ذلك صح أن يقول الشاعر: "أبلغ تحيتنا لكنت جميعها" لأن اتساع الكلام العربي أتاح له إطلاق الكل، وإرادة الجزء على سبيل المجاز المرسل ذي العلاقة الكلية، والقرينة الدالة على المجاز عقلية. والغرض البياني المبالغة في أن التحية تشمل وتعم أولئك الأناس المعروفين لدى "المُرسل والمرُسِل إليه".

وليس هذا الموضع هو الوحيد الذي تغنى فيه الشاعر بالحنين إلى ديار الأحبة، ويتخذ المجاز المرسل وسيلة إلى إبراز الحنين من عالم نفسي إلى عالم حسي، يقول متحسرا محنيا إلى بيت الله الحرام.

إِلَـــيْكُم فَقَلْـــبِي هَمُـــهُ بِمُحَصَّـــبِ وَإِنْ كَانَ جُثْمَانِي تَخَلَّفَ فِي كَبِ
بِهِ بَيْتُ مَوْلاَنَا الَّذِي حُفَّ بِالرِّضَى يَسِحُّ بِهِ صَوْبَ النَّدَى خَيْرَ صَيِّب
هُوَ الْبَيْتُ مَأْوَى الْخَائِفِينَ بِأَسْرِهِمْ يَلُـوذُ بِـهِ عَـوْذًا بِـهِ كُـلّ مُـذْنِبِ
يَطُـوفُ بِـهِ الرَّاجُـونَ فَضْـل حِبَائِـهِ فَيَرْجِـعُ كُـلٌّ مِـنْهُمُ بِالَّـذِي حُـب
بِـهِ قِبْلَـةُ ٱلإِسْـلاَمِ قَـدْ عَـمَّ فَضْـلُهَا وَنَالَ حَبَاهَـا كُـلُّ نَاءٍ وَأَقْـرَبِ
فَـإِن يَجْتَمِـعْ شَمْلِـي بِـهِ مُتَنَسِّـكًا فَيَـا بَـرْدَ أَحْشَـائِي لِنَيْـلَ مَـآرِبِ
وَإِلاَّ فَيَالَـكَ مِـنْ أُوَامٍ وَغُلَّـةٍ كَمِثْلِ أَتَانٍ حُلِّئَتْ دُونَ مَشْرَبِ[1]

فالشاعر يردد النغم حنينا إلى بيت الله الحرام، وقلبه غارق في الشوق الذي ملك على نفسه كل أهوائه وعواطفه، وكل إحساساته مع أنه في رؤيا العين ساكنًا كبي (Kebbi) ولم يكن شوقه إلى البيت إلا لأنه مأمن الخائفين، وعوذ المذنبين، يطوف به الراجي فضل الخالق الحق، وهو المولى الكريم الجواد، يمد السائلين اللاجئين إليه من كرمه ومنّه بالمغفرة، والتوبة،

[1]- المصدر السابق، ص: ٥٦- ٥٧.

والسعادة، ويقول الشاعر يا فرحتاه إن حققت ما تصبو إليه نفسي من الوصول إلى هذا البيت طالبا لمرضاة الله حاجا أو معتمرا، وإلا فالنفس تظل محترقة وجدا على عدم الوصول، مع شدة العطش إلى ذلك البيت المحنا إليه.

وعندما تقف على عجز البيت السادس تجد صورة مجازية مرسلة اعتمد عليها الشاعر في التعبير عن الحبور الذي يعلوه عندما يجد نفسه أمام بيت الحرام متنسكا، وذلك عند قوله: "فيا برد أحشائي" والأحشاء هو ماحواه بطن الإنسان من كبد وطحال وكرش وغيرها، والذي يغمره الفرح والسرور هو الإنسان نفسه لا الأحشاء وحدها لكن الشاعر أطلق الجزء الذي هو (الأحشاء) وأراد الكل، جريا وراء المجاز المرسل ذي العلاقة الجزئية.

فالباحث قد لا يجانب الصواب إذا عدَّ هذا المجاز المرسل من أقوى المجازات المرسلة وأحسنها نظرا إلى إيفاء شرط المجاز المرسل ذي العلاقة الجزئية، إذ الكبد والطحال من أهم أعضاء الإنسان الذي تقوم حياته عليه، ولا يتصور إنسان يعيش بدون الكبد والطحان، ومثل هذا المجاز قوله تعالى: "المُنَافِقُونَ النَعَابُنُ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ المُلكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ ..."[1]

[1]- سورة القصص: الآية ١٣.

الفصل السادس

الكناية وصورها في الديوان

المبحث الأول: الكناية وخطرها البيانى

يحاول الباحث في هذا المبحث أن يقف على مفهوم الكناية وأركانها وأقسامها وخطرها البيانى.

مفهوم الكناية.

الكناية في اللغة مصدرمأخوذ من كَنَي يَكْنِي كِنَايَةً، من باب رَمَى يَرْمِي رِمَايَةً، وهَدَى يَهْدِى هِدَايَةً، وقال الزمخشرى: كنى عن الشئ كناية، وكنى ولده وكناه بكنية حسنة والكنى بالمنى، وفلان حسن العبارة لكنى الرؤيا، وهى الأمثال التى يضرب بها ملك الرؤيا يكنى بها عن أعيان الأمور[1] وكذا يقال كَنَّى بالشئ عن كذا أى تكلم بما يستدل به عليه ولم يصرح، ويقال مثلا: أمة الدولار، يعنى أمريكا، والناطقين بالضاد، أي المتكلمين بالعربية.[2]

ويأتى لام الفعل ياء لما سبق و وَاوًا كَنَا يَكْنُو كِنَايَةً، من باب دَعَا يَدْعُو، وأنشد الجوهرى:[3]

وإني لأكنو عن قذور بغيرها * وأعرب أحيانا بها وأصارح

---

[1]- المعجم الوسيط، مادة: كنى، ص ٧٣٥

٢- المرجع السابق والصفحة.

[3]- الدكتور أيمن، أمين، الكافي في البلاغة، ص: ١١٢.

والكنية بالضم، والكسر في فائعها، واحدة الكنى، واشتقاقها من الستر، يقال: كنيت الشئ إذا سترته، وجذور الكلمة إذا يدور حول الستر والإخفاء.

والكناية من حيث المعنى اللغوى، ليست بعيدة عن الرمز لأنها تعنى: أن تتكلم بشئ وتريد غيره، أى تستعمل ألفاظا تقصد بها أخرى، والرمز يعنى هذا أيضا لأنه: ما أخفي من الكلام، وأصله الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم. [1]

والكناية في اصطلاح البيانيين مرت بعدة تعريفات على مر الأجيال والعصور، فاسنعملها أبو عبيدة والنحاة واللغويون، بمعنى: "الضمير" ومعنى هذا أن الكناية عندهم هي ما فهم من سياق الكلام، من غير أن يذكر اسمه صريحا في العبارة. [2]

ووردت الكناية عند الجاحظ بمعناها العام، وهو التعبير عن المعنى تلميحًا لا تصريحًا، وإفصاحًا كلما اقتضى الحال ذلك، وهو بذلك يشمل جميع أضرب المجاز والتشبيه والاستعارة والتعريض، دون أن يفرق بينها وبين هذه الأساليب. [3]

ويعرفها الشيخ عبد القاهر الجرجاني بتعريف يوضح قيمتها، ويبرز مواطن الجمال فيها، وسبب تفوق التعبير الكنائي على الصريح حيث يقول: هي: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ

[1]- الدكتور ديريره سعال، علم البيان بين النظريات والأصول، ص: ١٧٧.
[2]- الدكتور عبدالعزيز، عتيق، المرجع السابق، ص: ١٠٧.
[3]- المرجع السابق والصفحة.

الموضوع له في اللغة، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: "هو طويل النجاد"، يريدون طويل القامة، وكثير رماد القِدر، يعنون به كثير القرى، وفي المرأة: "نؤوم الضحى" والمراد مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر، من شأنه أن يردفه في الوجود وأن يكون إذاكان...[1]

وتعريف الشيخ الجرجاني يشبه تعريف قدامه بن جعفر، وإن كان يعدها من أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى، ويعرفها يقوله: أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعانى هو ردفه وتابع له، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع، بمنزلة قول الشاعر.

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل * أبوها وإما عبد شمس فهاشم

وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد.[2]

فكأن القزويني لاحظ ثغرة في تعاريف المتقدمين فجاء معيدا صياغة التعريف وزاد عليه بقوله: "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ" كقولك: فلان طويل النجاد أي طويل القامة.[3]

١- الدكتور عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص ١٠٨.
٢- أبو الفرج قدامة بن جعفر، المرجع السابق،ص: ٤٨.
٣- الخطيب القزويني، المرجع السابق، ص٣٢.

فالكناية إذا هي لفظ أو تعبير مستعمل له معنيان معنى قريب ومعنى بعيد، يقصد به المعنى البعيد مع جواز إرادة المعنى القريب التي هي المعنى الأصلي للفظ، لأن قرينة الكناية ليست مانعة من إرادة المعنى الأصلي مثل قرينة المجاز بل مجوزة.

أركان الكناية:

ومما سبق يدرك أن الكناية لها ثلاثة أركان لابد لها من توفرها.

١- اللفظ المكنى به، كقولك "نؤومة الضحى"

٢- المعنى المكنى عنه: مثل: "الترف والدلال" في المثال السابق.

٣- القرينة التى تجعل المعنى الحقيقي غير المراد، سواء كانت هذه الإرادة ممكنة أو غير ممكنة، وهي تفهم من تضاعيف الكلام وسياقه.[١]

أقسام الكناية:

وبعد البحث والاستقراء، وجد البلاغيون أن الكناية تنقسم باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام: وهي الكناية عن الصفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة، ويوجز الباحث البيان عن كل واحد من هذه الأقسام:

١- الكناية عن الصفة: - وهي التي يكون المعنى المكنى عنه صفة، والمراد بالصفة المعنوية مثل: الجود والكرم والمجد، لا النعت المعروف عند النحويين، إلا أن الصفة تضمر ويذكر الموصوف وحده، وبعبارة أخرى:

١. أ.د، فضل حسن عباس، المرجع السابق ص٢٨٤[١]

أن يذكر الموصوف وتنسب له الصفة، ولكن لا يقصد هذه الصفة بذاتها، إنما يراد لازمها، مثلا: "فلان كثير الرماد" ذكر الموصوف وهو: "فلان"، وذكر صفته وهي: "كثر الرماد" ولكن لم ترد هذه الصفة نفسها، بل أردت صفة لازمة لها وهي الكرم، لأن كثرة الرماد تنشأ عن كثرة النار، وهي تنشأ عن كثرة الحطب، وهي تنشأ عن كثرة الطبخ، وذلك نتيجة كثرة الضيفان، والكرم لازم لذلك كله.[1] لكن إذا لم يكن بين المكنى به والمكنى عنه واسطة أو وسائط عندئذ تكون الكناية عن الصفة قريبة كقول عمر بن أبي ربيعة في صاحبته هند:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل * أبوها وإما عبد شمس وهاشم[2]

فإن الكناية وقعت في البيت عند قوله: "بعيد مهوى القرط" ومهوى القرط: المسافة من شحمة الأذن إلى الكتف، فالشاعر يصف صاحبته بأنها بعيدة مهوى القرط ليدل على أنها طويلة الجيد، فعدل التصريح بهذه الصفة إلى الكناية عنها، لأن بعد المسافة بين شحمة الأذن يستلزم طول الجيد.[3]

وأما إذا كان المكنى به والمكنى عنه واسطة أو وسائط فعندئذ تكون الكناية عن الصفة، كناية بعيدة، كقول أحدهم:[4]

بيض المطابخ لاتشكو إماؤهم * طبخ القدور ولاغسل المناديل

١- أ.د. فضل حسن عباس المرجع السابق، ص ٣٨٥

[2]- أبو إسحاق، إبراهيم نب علي الحضري، زهرة الأدب وثمر الألباب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هم ١٩٩٧م، ط١، ج١، ص: ٨٨.

٢- الدكتور عبد العريز عتيق، المرجع السابق ٢٩١

[4]- المرجع السابق والصفحة.

والكناية هنا في قوله: (بيض المطابخ) فهي كناية عن البخل، لأنه ينتقل من بياض المطابخ، إلى عدم تلوّث جدرانها بالدخان، ومنه إلى عدم إحراق الحطب، ومنه إلى عدم الآكلين، ومنه إلى عدم استقبال الضيوف، ومنه الصفة المقصورة وهي البخل.

٢- الكناية عن الموصوف.

ضابط هذا النوع أن يذكر الصفة والنسبة ويحذف الموصوف المكنى عنه، وفي القسم الأول، وهو الكناية عن الصفة تلمح أن الموصوف مذكور، ونسب إليه صفة ما، إلا أن الصفة المذكورة ليست هي المراد، كقولهم: "فلان كثير الرماد" ذكر فيه الموصوف ونسب له صفة معينة كنى بها عن صفة أخرى، أما في هذا القسم فتذكر الصفة والنسبة فحسب، ولايذكر الموصوف، والفرق بين القسمين إذًا أن الصفة في القسم الأول كانت كناية عن صفة أخرى، أما الصفة في القسم الثاني فإن الغرض من ذكرها أن يتوصل بها إلى الموصوف المحذوف المكنى عنه[1] مثال ذلك قول الشاعر:

ولي بين الضلوع دم ولحم * هما الواهى الذي ثكل الشبابا

وهوكناية عن القلب، ألا ترى أن المذكور هنا، والذي كنّى به عن القلب ليس في الحقيقة إلا صفة لهذا القلب، فالقلب بين الضلوع وهو دم ولحم، وهذه الصفات لايتصف بها إلا القلب، ولوأن الشاعر اقتصر

[1] فضل حسن عباس، المرجع السبابق، ص

على الدم واللحم ما صلح أن يكون كناية عن القلب، لأن اليد دم ولحم من الجوارح يمكن أن يكون كذلك، لكن الذي حسّن الكناية في هذا البيت أن مجموع هذه الصفات المذكورة لا تصدق إلا على القلب.[1]

والكناية عن الموصوف نوعان: وذلك إما أن يكون الموصوف معنى واحد فقط، لاعدة معان، كمافي قول الشاعر:

الضاربين بكل أبيض مخذم * والطاعنين مجامع الأضغان[2]

فقوله: "مجامع الأضغان" كناية عن القلب، وهو موصوف واحدا، لاغير. وإما أن يكون معاني متعدة، لا معنى واحدا، لموصوف واحد، كقول القائل في كلامه عن القلب: "أفضل من الإنسان موطن الأسرار، وأرض الألغاز، وعالم الأحاسيس. فهذه ثلاث معان لموصوف واحد".

الكناية عن النسبة:

وهي التي يكون فيها المعنى المكنّى عنه نسبة حاصلة بين الموصوف وصفته الملازمة له، إثباتًا أونفيًا، ولذلك يذكر الموصوف وتذكر صفته، ثم تتم نسبة هذه الصفة إلى ما يلازم صاحبها، أويتم نفي هذه النسبة.[3] وبعبارة أوجز من هذه، هي: أن تذكر الصفة والموصوف، فتدع أن تنسب هذه الصفة لصاحبها، فتنسبها لشئ آخر. والنسبة هي إثبات

١- المرجع السابق والصفحة.
[2]- الخطيب القزويني، المرجع السابق، ص: ٣٠٢.
٢- الدكتور ديريره سقال. المرجع السابق، ص: ١٨٠

شئ لشئ أو نفيه عنه،[1] مثلا: "الجود في طرفي ثوبه" وقد ذكر الموصوف (هاء الضمير في: "ثوبه")، وذكرت الصفة، وهي الكرم، ولكن عدل عن نسبتها إليه مباشرة، فنسبت إلى طرفي الثوب، وهوما يلازم صاحبه. ومنه قول زياد الأعجم في مدح عبدالله بن الحشرج وكان أمير نيسابور:

إن السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج[2]

فإنه أراد أن يثبت هذه الصفات خلالا للممدوح لكنه لم يصرح بذلك فيقول: إنها لمجموعة فيه أومقصورة عليه أونحو ذلك، بل عدل إلى ما هو مرئي فجعلها في قبة مضروبة عليه ليمكنه أن يثبتها للممدوح بطريق الكناية، لأنه إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له.[3] ومنه أيضا قول الشنفرى الأزدي:

بيت بمنجاة من اللوم بيتها * إذا ما بيوت بالملامة حلت

فهو كما ترى وصف امرأة بالعفة ونفي عنها اللوم، ولكنه لم يصرح بهذا، بل نفي نسبة اللوم عن بيت يشتمل عليها، وذلك يستلزم نفي اللوم عنها.

وخلاصة القول: إن الكناية عن النسبة هى إثبات الصفة لغير الموصوف أونفيها عن غيره مع أن المراد إثباتها له أو نفيها عنه.[4]

خطر الكناية البيانى:

١. أ- د. أزد، فضل حسن عباس، المرجع السابق،٨٩٤، وانظر أيضاء العلامة النحوى، محمد بن علوي، الكافي في البلاغة، ص: ٣٦٤.
١.عبدالرحيم ابن أحمد العباسي، التنصيص على شواهد التلخيص، عالم الكتب سنة ١٩٤٧م، ج٢، ص: ١٧٣.
٢- حمد المراغى، المرجع السابق ص٧٠٦
٣- أ.د، فضل حسن عباس المرجع السابق، ص٧٩٨

الكناية فن من فنون التعبير توحاه العرب استكثارا للألفاظ التي تؤدي ما يقصد من المعاني، وبها يتفوقون في الأساليب، ويتزينون ضروب التعبير، ويكثرون من وجوه الدلالة.

وقد عبر الشيخ عبدالقاهر الجرجاني عن خطرها وخاصيتها وجلالة شأنها، بأنها:

فن من القول، دقيق المسلك، لطيف المأخذ، وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب، وإذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف، ودقائق تعجز الوصف، ورأيت هناك شعرا شاعرا، وسحرا ساحرا، وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق، والخطيب المصقع، وكما أن الصفة إذالم تأتك مصرحا بذكرها مكشوفا عن وجهها، ولكن مدلولا عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها، كذلك إنها الصفة للشئ تثبتها له إذالم تلقه إلى السامع صريحا، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية، والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق، مالا يقل قليله، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه.[1]

[1] الشيخ عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٣٠٠

وليس المقصود هنا تفضيل الكناية على سائر الأبواب البيانية وإن كان لها خاصية وميزة لا تجدها في غيرها وهي (الميزة) تحقق أهدافا بلاغية منها:

أن الكناية كالاستعارة من حيث قدرتها على تجسم المعانى وإخراجها على صور محسوسة تزخر بالحياة والحركة، وتبهر العيون منظرا، فيكون أوقع في النفس وأدْعى إلى التوكيد، ويتضح ذلك عند النظر إلى تصوير دقيق لحال صاحب الجنة عندما رأى جنته التى كان يعتزبها قد أهلكها الله عقابا له على شركة "فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا [1] فالكناية في الآية الكريمة في قوله تعالى: "يقلب كفيه" والصفة التى تلزم من تقليب الكفين الندم والحزن، لأن النادم والحزين يعملان ذلك عادة فتقليب الكفين في مثل هذا الموقف كناية عن الندم والحزن.

فالمعنى الصريح هنا هو "فأصبح نادما حزينا" وهذا معنوى تدخلت فيه الكناية فجسمته وأظهرته للعيان في صورة رجل اعتراه الذهول من هول ما أصاب الجنة التى كان يعتز بها، فوقف يقلب كفيه ندما وحزنا على أمله المنهار أمام عينيه.

- تفخيم المعنى في نفس السامع، نحو قوله تعالى: "ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ " فالقارعة كناية عن "القيامة"

[1] سورة الكهف الأية: ٤٢

وقد عدل عن التصريح بلفظ "القيامة" إلى الكناية بلفظ "القارعة" لا لإثبات ذلك المعنى للقيامة، وإنما لاثبات شاهده ودليله، وهو أنها تقرع القلوب وتزعجها بأهوالها، وذلك تفخيما لشأن القيامة في النفوس.[1]

- تزيين المعنى وتحسينه، أو تشويهه وتقبيحه، فالكناية هي الوسيلة الوحيدة التي تيسر للمرء أن يقول شيء، أو يعبر بالرمز والإيحاء عن كل مايجول بخاطره حراما كان أوحلالا، حسنا كان أو قبيحا وهو غير محرج أو ملوم، يقول المتبي الذي يمدح سيف الدولة بأنه أعز بني كلاب مساء، وأذلهم صباحا:

فمساهم وبسطهم حرير * وصبحهم وبسطهم تراب[2]

- استكراه التصريح بالشئ لهجنته، فيكنى عنه بما لا ينبو عنه الطبع، ومن هذا القبيل قوله تعالى: "وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ"،[3] فكنى عن امرأة العزيز بقوله: "التي هو في بيتها" كراهة أن يصرح بزليخاء لثقله وهجنته، وعدل عنه وعن امرأة العزيز بالموصول وصلته ليؤكد الغرض الذي سيق الكلام من أجله، وهو نزاهة يوسف عليه السلام.

[1]- الدكتور عبدالعزيز عتيق، المرجع السابق، ص/ ١٦٨
[2] المرجع نفسه والصفحة، وأنظر أيضا الدكتور المتبولي شيخ كبر، صور بيانية في شعر الشيخ محمد الناصر الكبري، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، بكنو نيجيريا، شركة القدس القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣، ص: ٢٨٨
[3]

وبالجملة إن الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لايصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيّها برهانها، ولذا كانت الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، بإجماع البيانين.

المبحث الثاني: الكناية في الديوان

يميل الشاعر أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو إلى استعمال صور من الكناية البديعة، لغرض المدح والإقرار، ومن ذلك مايقول في رثاء ابن عمه مُحَمَّد بن عبد الله بن فودى، وأخيه عبد القادر بن الشيخ عثمان، فاستهل بذكر شرفه، وشيمه الحميدة، وسجاياه الكريمة بأسلوب كنائي بديع:

رميت بسهم ذات ودقين في قلبى * فيا لفؤاد سيم كربا على كرب[1]

لفقد شهيد قد ثوى الخيرخيمه * كريم شريف مدره الحرب

يريد الشاعر أن يبرز إلى السامع والقارئ شدة الوجد الذي أصابه عندما جاء هاذم اللذات وفرق بينه وابن عمه، بفارس رُمِيَ بسهم مسموم شديد الوقع في القلب، فهو مصروع لا يستطيع الحراك، وما ذاك إلا لأن الشهيد جماع الخير والكرم، ويعين على نوائب الحق، يساعد الفقراء والمحتاجين، ويطعم الجائع، ويكسي العاري، فهو معروف السخاء والجود.

فلما أراد الشاعر أن يثبت صفة الخير والكرم والسخاء وكل ماهو داخل في الخير والممدوح واختصاصه بالصفة، جعل كون الخير ثابتا مقيما في خيمة (ثوى الخير خيمه)، فمن أثبت الأمر في حيز الإنسان ومكانه فقد أثبت له، ولو أراد التصريح لقال: إنه رجل خير، كريم

١. أمير المؤمنين محمد بللو، المرجع السابق، ص: ٥٨.

سخيٌّ، لكن العدول عن التصريح إلى الكناية يزيد الكلام معنى قد لا تكون موجودة إن صُرّح، فكأنه يقول: عاف الخير كل الناس ولم ينزل إلا على الممدوح، فالصفة إذا مقصورة عليه.

والكناية عند قوله: (ثوى الخير خيمه) كناية عن نسبة الكرم والأخلاق الحميدة إلى الممدوح، وهي تتمثل في العدول عن نسبة الصفة إلى الموصوف مباشرة، ونسبتها إلى ماهو له اتصال به، أي (الخيمة) وهي كناية خصصت فيها الصفة بالموصوف.

والغرض البياني وراء هذا التصوير يكشف مدى تخلق الممدوح بأخلاق إيجابية كريمة التي منها إغاثة البؤساء، والإطعام، والصدق، والوفاء بالعهد، والمعاونة على نوائب البر والحق.

ومن صور الكناية البديعية ما استعمله الشاعر لغرض المدح أيضا في مرثية الشيخ مُحَمَّد بن السيد المختار الكنتي:

ذي المنار الرفيع سيدنا المخـ * ـتار أيمن بسيد ونقيب

ساس بالحلم والوقاركثيرا * واكتسى منه كل برد قشيب[1]

فالممدوح ذو المكانه العالية، رفيع القدر والشأن، جماع المحامد والمحاسن، معروف لدى الناس الصغير والكبير، والعالم والجاهل، شريف قومه، يعرف بالحلم والعفو عن غباوة الجاهل، ويعلوه الصمت والوقار في أحواله، هذا هو المعنى الذي أراد الشاعر أن يثبته في الممدوح، ولكنه

١. أمير المؤمنين محمد بللو، المرجع السابق، ص: ٥٦.

أبى أن يعبر عن ذلك بأسلوب صريح، فلجأ إلى أسلوب كنائي، لأنه أقوى أثرا في النفس، فكنى عن رفعة شأنه، وشرفه في قومه بأنه "ذى المنار الرفيع"، بدلا من أن يصرح بالصفة ذاتها، ثم كنىّ ثانيا عن لزومه الصبر والحلم والجلد "باكتساءه كل برد قشيب".

فالتعبير في البيت الأول بأن الممدوح (ذى المنار الرفيع) تعبير يدل على شرف الممدوح وعلو قدره، إذ "المنار" جمع منارة، وهي العلامة، أو العلم يجعل لطريق أو الحد للأرضين من طين أوتراب،[1] فالممدوح هو العلم في قومه معروف بالخير. ويجوز حمل المعنى على جانب الحقيقة بمعنى أنه يصح هنا إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ، وهو أن الممدوح هيئة الخير ينفق ماله الكثير في بناء المساجد.

والكناية الثانية في البيت الثاني عند قوله: "واكتسى منه كل برد قشيب" عبارة عن شدة لزوم الممدوح بالصبر والحلم والجلد، كأنه اتخذ الحلم والوقار لباسا له.

وقد استخدم الشاعر الأسلوب الكنائي البديع في إظهار شوقه إلى بيت الله الحرام فقال:

فإن يجتمع شملي به متنسكا * فيا برد أحشائي لنيل مآرب[2]

وإلا فيا لك من أوام وغلة * كمثل أتان حلِّئَت دون مشرب

[1]- قاموس المعاني. مادة المنار.

١. أمير المؤمنين محمد بللو، المرجع السابق، ص٥٧.

فكل أمنية الشاعر أن يجمعه الله ببيت الحرام حاجًا أو معتمرًا، وهو منتهى أمله في الحياة، وكل رجاءه، لذلك متى ما تحقق هذا الرجاء يأخذه الفرح والسرور، ومتى كان العكس يظل القلب غير مطمئن محترق بنار الشوق والحنين لعدم الوصول إلى البيت الحرام، وقد سبق الشرح الكامل للأبيات في المجاز.

هذا هو المعنى الذي أراد الشاعر أن يقول في هذين البيتين، إلا أنه لم يصرح بذلك، بل لجأ إلى أسلوب الكناية، فقال:

فإن يجتمع شملي به متنسكا * فيا برد أحشائى لنيل مآرب

وإلا فيا لك من أوام وغلة * كمثل أتان حلئت دون مشرب[1]

حيث كنى عن شدة الفرح والسرور الذي يغطي قلبه ببرد الأحشاء، وكنّى عن شدة الاشتياق إلى لقاء الحبيب بالعطش والغلة التى يصيب الإنسان الضامن، ولا شك أن مثل هذا الأسلوب مما يزيد المعنى رونقًا وجمالاً، فالسرور والفرح يستدعى برد القلب والعينين، وهذا من مظاهر تقوية المعنى وتثبيته في نفس المتلقي، أو دعوى الشيء بالبيّنه والبرهان، وهذه كناية عن صفة أيضا.

وتتمثل روعة هذه الكناية في حسن إبراز الشاعر المعانى الخفية إلى معان يعرفها حتى الإنسان العادى، فكفي وشفى.

١. أمير المؤمنين محمد بللو، المرجع السابق، ص٥٧.

ومن أمثلة الكناية عن الصفة في الديوان ما قال عقب غزوتهم مع التوارق:

ألا أبلغ توارق أهل أزبن * علانية فقد ذهب السرارُ

بأنا قد نزعنا خصيتيكم * فليس بكم إلى زحفٍ نفار

ضربنا قرن كبشكم فأضحى * أجم كأنه فيكم حمار

فالشاعر يوصي المبلّغ عنهم أن يعلن في التوارق بأنا قطعنا دابرهم، وقتلنا أكابر مجرميهم الذين يغترون بهم عند اللقاء، ولم يكن لهم في البلد إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة في الأرض ولا يهتدون سبيلاً، ولم يبق إذًا لأهل أزبن إلا الإذعان والخضوع تحت راية الفودوبين.

هذا هو المعنى الذي أراد الشاعر لكنه عدل عن التصريح به إلى الكناية، فكنى عن بتر دابر القوم عن طريق قتل الذكور والرجال، وترك الإناث في القوم بقوله: "نزعنا خصيتيكم" فاستعمل اللفظ وأراد به لازم معناه، وهو الهوان والضعف الذي أصاب أهل أزبن مع أنه لايمنع من إرادة المعنى الأصلي من اللفظ، أى أنهم بعد القتل مثلوبهم وقطعوا خصيتهم، إلا أنه ليس مراد الشاعر إذ التربية التى نشأ عنها الشاعر تحجزه عن هذا الفعل، بل المراد المعنى المكنى عنه. والغرض التقبيح والتحقير والإهانة.

وكنى في البيت الثالث عن كسر شوكة القوم وتذليلهم عن طريق قتل شجعانهم وأبطالهم بحيث لم يبق فيهم إلا الضعفاء الجبناء، بقوله: "ضربنا قرن كبشكم"، حيث استعار لفظ "الكبش" الذي يعني الفحل من الضأن، لإنسان وضيئ شريف في القوم، ثم كنى عن كسر شوكتهم بضرب رأس هذا الشريف الموصوف بالكبش، فمن المعلوم أن كل قوم غُلب على شجعانهم وقوادهم، فإنه قد انتصر عليهم، فلم يعد لهم قوة يقابلون بها معارضيهم، فما أحسن هذه الكناية وأجودها وخاصة عندما تردد قراءة البيت:

ضربنا قرن كبشكم فأضحى * أجم كأنه فيكم حمار

والسر البيانى من هذه الكناية هو كشف مدى إقدام جيش الفودوين وسطوتهم وقوة بطشهم، في إخضاع الأعداء، وإهانة قدر القوم المعارضين وتحقير أمورهم.

ومن الكناية الطريفة التى وردت في الديوان، قول الشاعر في غزوة فتح كَلَمْبَيْنَا:

تركنا الطيور والسباع عليهم * عكوفا كناهلة تيممن منهلا[1]

قصد الشاعر من وراء هذا التعبير في الواقع أن يصف حال أهل كلمبينا، بعدما عرضوا عليهم الصلح والسلم فلم يقبلوا إلا القتال، فأصبحت بيوتهم بعد المصارعة خاوية بما ظلموا، وأجسادهم جيفة في

[1] أمير المؤ مبين محمد بلو، المصدر السابقء ص٢٣

ميدان المعركة لا يستطيعون الحراك، وأي حراك بعد فيضان الروح من الجسد عليه الذئاب، والكلاب، والطيور، والسباع، يتناولون الغداء والعشاء منه.

هذا هو المعنى الذي أراد الشاعر أن يوصله إلى المتلقي، فعدل في تعبير ذلك عن التصريح إلى أسلوب الكناية، إذ لم يقل إنا نزلنا بساحة القوم، وقتلناهم قتلا بشعا بعد ما دار الحرب بيننا، بل أشار بقتلهم وغلبتهم عليهم عن طريق أسلوب كنائي بقوله: "تركنا الطيور والسباع عليهم" فترك الميدان للقارئ ليدرك عن طريق الدلالة أنهم تغلبوا عليهم وقتلوهم، إذ لولا ذلك لا يجد الطيور والسباع السبيل إلى التغذى عليهم. وهذه الكناية كناية عن صفة.

هذا، ويجوز حمل المعنى على جانب الحقيقة، بمعنى أنه يصح هنا إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ، أى أنهم حقيقة تركوا الطيور والسباع عاكفة عليهم، الذي هو المعنى المكنى منه، لكن يكون المعنى المكنّى عنه هو مراد الشاعر، وهو أبلغ أثرا في النفس، إذ هو من باب إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هوشاهد في وجودها.

ويبدو أن نفس الشاعر تميل إلى هذا النوع من الكناية إذ الصورة تكررت في قصيدة رسم فيها النصر الباهر الذي كان حليف المسلمين في قتالهم مع المتمردين على دعوة الفودويين بقوله:

ولقد تركنا جمعهم بفنائهم * جزرا لطير سغب وذياب

إنه كان الظفز لفريق الشاعر في هذه المعركة، وكانوا هم الغالبون، واستدل على ذلك بأنهم تركوا فريق العدو مغذى الضباع، ومراح السباع، الذياب والطيور تتسع على لحوم القتلى، ولو أنه كشف عن وجه الكلام وذكره صريحا لما كاد يحيط بالمعنى المقصود هذا اللفظ الصريح، فإن الصفة هنا جاءت من باب إثبات الدعوى بالبينة، الذي يكون آكد في النفس، وأقوى أثرا، فلو قال إناحطمنا العدوّ، وهزمناهم، أو الظفر لنا في هذه الغزوة، لجعل المتلقى يظن بفريق الشاعر ظنونا، لهذا كان العدول بالكلام إلى الكناية هنا أبلغ من الإفصاح.

ويجوز أن يكون المعنى الأصلي هو المؤوّل عليه، بمعنى أنه يجوز أن يكون مراد الشاعر بقوله:

ولقد تركنا جمعهم بفنائهم * جزرا لطيرسغب وذياب[1]

أى أنهم تركوا القتلى صرعى، تحلق فوقهم الطيور والذئاب يتياسرون لحومهم مادام أن قرينة الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي من اللفظ.

والسر البيانى في استعمال هذه الكناية إهانة قدر العدو، وتقبيح حالهم، فلم يرهم الشاعر في شيء فعدل عن التصريح إلى الكناية.

لكن الشاعر يخبر أن هذا النصر الذي كان بجانبهم لم يكن وليد المصادفة بل يسبقه مقدمات وبشائر تقوى شوكة جيشهم وتشجعهم

١. أمير المؤمنين محمد بللو، المرجع السابق، ص٦٥.

على الإقدام، والتي منها إلقاء الرعب والخوف في قلوب العدو قبيل وصول جيش الفودويين، ويتوسل الشاعر بالكناية عن الصفة في بيان ذلك على نحو ما يقول في غزوتهم مع أهل كلمبينا:

وردنا قَلَمْبَيْنَ وأرغنغ بعدها * فطارت فرائصهم مهابا وأفطلا[1]

فقد رمز الشاعر بـ "طيران الفرائص" عن الرعب والخوف الذي امتلأ به قلوب العدو قبل وصول جيش الفودويين أرضهم، ولأنها صورة متكاملة توحى باشمئزاز النفس والخوف. وطيران الفريصة من دواعي الخوف والرعب وباعثه ودليله، فعدل الشاعر إلى الإشارة بـ"طيران الفريصة" كناية عن الرجف واضطراب القلب، والخوف الذي يملأ نفوس الأعداء قبل وصولهم إلى أرضهم.

والشاعر أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو يستمر في غير هذه القصيدة بتهديد الأعداء، وأنهم استنفدوا كل استطاعتهم في حشد القوة العسكرية والأسلحة التى لها إصابة محكمة يقول:

فأبلغ زدي مع هود يهودى وقع وارتقب مني سبابا
ومغزاء مبات إلى مكد فأوقع في بلادكم الخرابا
بجند يملأ الأركان طرًّا ويكسو السهل والحزن النشابا
يلفّ الخيل يومئذ نساء أوانس قد أصبن لنا نهابا
فلا يحجبن يومئذ بخدر ولايوقين من شمسٍ عتابا[2]

١. أمير المؤمنين محمد بللو، المرجع السابق، ص٥٧.
١. أمير المؤمنين محمد بللو، المرجع السابق، ص١٢-١٣

إذا كان من عادة قائد الجيش أن يورّى بغير مغزاه، فقد اشتد ساعد هذا القائد أن يشذ عن هذه القاعدة، ويعلن الحرب مع الخصم، بأنه يقصده بجند لا قبل له به يملأ الأركان والنواحى بالمقاتلين الشجاع، والأسلحة المسمومة التى تقضي على المعارضين، حتى لايبقى فيهم إلا العجائز، والولدان، والنساء، فتسبى ذاراريهم، ويساق عذاريهم علانية.

هذا هو المعنى الذي أراد الشاعر أن يبثها في أذن العدو، ولكنه ولّى عن استعمال الأسلوب الحقيقي الصريح إلى استخدام الأسلوب الكنائي لتعظيم الأمر، وتخييل المخاطب، فكنى عن كثرة عدد الجيوش بذكر "ملإ الجنود الأركان" لأن كثرة أفراد الجيش ردف بامتلاء أفاق البلد ونواحيها، إذ العلاقة بين المعنى الحقيقي، والمعنى الكنائي هو التلازم الذي بينهما.

ومن الإبداع الكنائي ما أتى في نصحة الطالب في الجد والاجتهاد في طلب العلم والحلم والتواضع في تحصيل المعرفة حيث يقول:

فلا تطلبن بدلا لهم إن وجدتهم * وكن من تلقى العلم منهم أخا الردا

هذا البيت ذكره الشيخ أمير المؤمنين مُحَّد بلّو في قصيدة يمدح بها أهل "كُنْتَا" على ماحاذوه من العلم النافع والعمل الصالح، ثم أضاف الشاعر إلى ذلك نصيحة عامرة إلى جالس القوم بأن يشد مئزره، ويجتهد في أخذ ما عنهم من العلم الغزير، وينهاه عن التوانى.

والكناية في البيت وقعت عند قول الشاعر "أخا الردا" فكنى الشاعر عن طلب العلم، والحرص على تحصيله، والاستماتة في طلبه، والمداومة مع أهل العلم، والمثابرة معهم، على أنها فرصة ثمينه لمن تلقاهم، وذلك تصريح عدله الشاعر إلى الكناية بـ "أخا الردا" والذي أصله الشيء الذي يلازم الرمل أو الطين، للمبالغة، والمزايدة، وهو يقصد وراء ذلك أن يبذل الطالب غاية عُليا من الطاقات للانتفاع والإفادة.

الخاتمة:

ويقف الباحث، بعد دراسة فنية تناولها في موضوع "الصور البيانية في ديوان إفادة الطالبين"، وتمثل خاتمة البحث عنصرين أساسيين، هما:

١- خلاصة البحث

٢- نتائج البحث

أولا: خلاصة البحث:

سطر الباحث في مقدمة هذا البحث عناصر البحث اللازمة المعروفة، ثم أورد صورة موجزة عن تاريخ الأديب أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو، من حيث إيراد النقاط المهمة التي ساعدت في تكوين شخصية الشاعر، ثم التعريف بالإنتاج المدروس (الديوان) في صورة موجزة تكشف الغطاء عن الديوان، كما قدم عن الدراسة النظرية للتشبيه وسره البياني، ثم ساق نماذج من صور التشبيه الواردة في الديوان، ممثلة في التشبيه المفرد والمركب، مصحوبة بالتحليل الأدبي والإجراء البلاغي، بحيث تعكس للقارئ مدى براعة الشاعر أمير المؤمنين في استخدام التشبيه.

وبعد هذا تطرق الباحث إلى الاستعارة وخطرها البياني، ثم إيراد بعض النصوص وردت فيها صور استعارية وتحليلها تحليلا أدبيا وبيانيا، كما عرض نصوصا شعرية مليئة بالصور المجازية مع التحليل الأدبي والبلاغي، وذلك بعد إيراد دراسة نظرية عن المجاز وبلاغته، ثم تناول الكناية وخطرها البياني، وساق الباحث بعد ذلك نماذج كنائية، وردت في الديوان حللها تحليلا أدبيا ثم الإجراء البلاغي على كل ظاهرة.

وفي آخر المطاف اختتم الباحث بتلخيص البحث وذكر النتائج التي تم التوصل إليها، كما رتب المصادر والمراجع التي استقى معلوماته منها في نهاية هذا البحث.

ثانيا: نتائج البحث:

وأما النتائج التي توصل إليها الباحث فتتمثل فيما يأتي:-

- لم يكن أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو مجرد صوفي أو عالم سياسي فحسب، وإنما هو أديب بارع، وفي أدبه الشعري ما يبرهن على ذلك، وخاصة النماذج المساقة في هذا البحث.
- إن الظروف المحيطة بعصر الشاعر من سياسة وعلم وأدب تنعكس في أدبه وفي النماذج المساقة ما يشهد بذلك.
- إن هذا الديوان ناطق بلسان الحال على رسوخ قدم الشاعر على دقائق العلوم والمعارف، وخصوصا البلاغةَ العربيةَ، وبالأخص الجانبُ البياني منها، وما يحتوي من تشبيه ومجاز وكناية.
- أن الشاعر أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو موفق في اختيار كثير من الصور البيانية حيث توحى أجزاؤها بمعان رفيعة وممتعة تميل السمع، وتغذى العقل والعاطفة، لما تقترن به من براهن ساطعة وحجج دامغة.
- أن عنصر التشبيه هو الذي حظى بنصيب الأسد في ديوان الشاعر حيث ورد حولى خمس وأبعون صورة تشبيهية، وتتبعها الصور الاستعارية، حيث وردت اثنان وثلاثون صورة، ثم الكناية حيث وردت عشر صور، وهو موفق أيضا في كثير منها.

- كان الشاعر أمير المؤمنين مُحَمَّد بلو من حيث تخير الصور البيانية والالتزام بالعمود الشعري كثير التقليد بالشعراء القدامى الجاهليين والإسلاميين، وفي النماذج المذكورة ما يشهد بذلك، ويدل على شدة ممارسته بدواوين الشعراء القدامى.

اللَّهَ أسأل أن يتقبل هذا العمل ويجعل ختامه مسكاً إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم

مُحَمَّد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي (أمير المؤمنين) **إفادة الطالبين** مخطوط. يوجد بدار الوثائق ولاية سكوتو- نيجيريا.

المراجع:

ابن الأثير، أبو الفتح نصر الله بن مُحَمَّد بن عبدالكريم الموصلي، (ضياء الدين) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، (د.ط.)، تحقيق: مُحَمَّد محي الدين عبدالحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٥م.

أحمد، بشير عثمان، **قائمة أسماء المخطوطات العربية لعلماء صكتو**.

أغاكا، عبد الباقي شعيب (أ.د.) **أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبدالله بن فودي**، مكتبة دار الأمة لوكالة المطبوعات، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

الإلوري، آدم عبدالله (الشيخ) **الإسلام في نيجيريا**. بدون معلومات النشر.

..... **موجز تاريخ نيجيريا**، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م.

أمين، بكري، شيخ، **البلاغة العربية في ثوبها الجديد**، ط٣، دار العلم للملايين بيروت. ١٩٩٥م.

الأنصاري، جمال الدين ابن هشام، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، تحقيق: مُحَمَّد محي الدين عبدالحميد (بدون معلومات النشر).

بسيوني، عبدالفتاح فيود (الدكتور) **من بلاغة النظم القرآني، دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم**، مؤسسة المختار، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

..... **علم البيان**، مؤسسة المختار ط٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن مُحَمَّد النيسابوري، **روضة الفصاحة**، تحقيق مُحَمَّد إبراهيم سليم، القاهرة، مكتبة القرآن، د.ت.

الجاحظ، عمرو بن بحر، **الحيوان**، تحقيق: عبدالسلام هارون القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.

الجرجاني، عبدالقاهر (الإمام) **أسرار البلاغة**، مؤسسة الرسالة ط٣، القاهرة، ١٤١٣هـ١٩٩٢م.

.....،**دلائل الإعجاز**، د. ط: تحقيق محمود شاكر، ط٥، القاهرة مكتبة الجانجي، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق مُحَمَّد علي النجار، بيروت عالم الكتب، د.ت.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح**، ط:٤، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٩٥م.

الرازي، مُحَمَّد بن عمر (فخر الدين) **تفسير الزاري: فتوح الغيب**. د.ط، المطبعة الخيرية ١٣٠٧هـ.

الزبيدي، مرتضى مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبدالرزاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية د.ت.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، **أساس البلاغة** صيدا بيروت: المكتبة العصرية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

السبكي، بهاء الدين أحمد بن علي بن عبدالكافي، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص** مصر، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه د.ت.

الصاوي، أحمد عبدالسيد (الدكتور) **فن الاستعارة: دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي**، د.ط، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتّاب ١٩٧٩م.

عوني، حامد **المنهاج الواضح للبلاغة**. (د.ط.) القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث ، (د.ت.).

عباس، فضل حسن(أ.د): **البلاغة فنونها وأفنانها**. الطبعة الثانية عشر الأردن، دار النفائس، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٩م، ج٢.

عتيق، عبدالعزيز (الدكتور) **علم البيان**، القاهرة: دار الآفاق العربية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

علي أبوبكر (الدكتور) **الثقافة العربية في نيجيريا من ١٩٥٠م إلى ١٩٦٠م عام الاستقلال**، القاهرة ١٩٧٢م.

علي الجارم ومصطفي أمين، **البلاغة الواضحة**، (بدون معلومات النشر)

غلادنثي، شيخو أحمد سعيد(أ.د.) **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، بيروت، دار مكتبة الحياة. ١٩٩٥م.

القزويني، الخطيب مُحَمَّد بن عبدالرحمن (جلال الدين) **الإيضاح في علوم البلاغة**. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ت).

قلاش أحمد، (الشيخ) **تيسير البلاغة** /١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

كبر، المتبولي شيخ (الدكتور) **صور بيانية في شعر الشيخ مُحَمَّد ناصر الكبري**، دراسة بلاغية تحليلية لنماذج مختارة، ط١، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

الهاشمي أحمد السيد: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، دار الفكر القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.

مُحَمَّد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي (أمير المؤمنين) إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور.